GAQD5173

المباحث في مسائل الأسماء والأحكام

المحتوى

القسم الأول: مباحث في الأسماء

الدرس الأول: الأسماء المحمودة

الدرس الثاني: الأسماء المذمومة

الدرس الثالث: الأقوال في مسمى الإيمان

القسم الثاني: مباحث في الأحكام

الدرس الرابع: قواعد عامة في مسألة التكفير

الدرس الخامس: تابع قواعد عامة في مسألة التكفير

الدرس السادس: شروط وموانع تكفير المعين

الدرس السابع: تابع شروط وموانع تكفير المعين (1)

الدرس الثامن: تابع شروط وموانع تكفير المعين (2)

الدرس التاسع: تابع شروط وموانع تكفير المعين (3)

الدرس العاشر: حكم مُرتكب الكبيرة

القسم الثالث: المسائل المتعلقة بالعقيدة

الدرس الحادي عشر: أفضلية الخلفاء الأربعة بحسب ترتيبهم، والأدلة على ذلك.

الدرس الثاني عشر: فضل الصحابة، والتوسط فيهم بين الإفراط والتفريط.

الدرس الثالث عشر: اعتقاد أهل السنة والجماعة في الصحابة (1).

الدرس الرابع عشر: اعتقاد أهل السنة والجماعة في الصحابة

الدرس الأول: الأسماء المحمودة

عناصر الدرس

العنصر الأول: مرتبة الإسلام

العنصر الثاني: مرتبة الإيمان

العنصر الثالث: مرتبة الإحسان

العنصر الأول: مرتبة الإسلام.

الإسلام لغة: هو الانقياد والخضوع والذل. يقال: أسلم واستسلم، أي انقاد .

الإسلام شرعا: له معنيان:

الأول: الانقياد والاستسلام لأمر الله الكوني القدري طوعا وكرها.

وهذا لا ثواب فيه. قال تعالى: أَفَغَيْرَ دِينِ اللّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (آل عمران: 83) أي خضع وانقاد.

الثاني: إخلاص العبادة لله – عز وجل – وحده لا شريك له.

وهذا الإسلام هو الذي يحمد عليه العبد ويثاب

وهو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.

والإسلام بالمعنى الثاني ينقسم إلى عام وخاص:

العام: هو الدين الذي جاء به الأنبياء جميعا. وهو عبادة الله وحده لا شريك له.

والخاص: هو ما جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

ولفظ الإسلام يجمع معنيين:

أحدهما: الانقياد والاستسلام.

والثاني: إخلاص ذلك، وإفراده. .

وعنوانه: قول: لا إله إلا الله.

وله معنيان:

أحدهما: الدين المشترك وهو عبادة الله وحده لا شريك له، الذي بعث به جميع الأنبياء، كما دل على اتحاد دينهم نصوص الكتاب والسنة.

والثاني: ما اختص به محمد صلى الله عليه وسلم من الدين، والشرعة، والمنهاج.

وله مرتبتان:

إحداهما: الظاهر من القول والعمل، وهي المباني الخمسة.

والثانية: أن يكون ذلك الظاهر مطابقا للباطن .

فالحاصل أن الإسلام في شريعتنا لإطلاقه حالتان:

الحالة الأولى: أن يطلق على الإفراد غير مقترن بذكر الإيمان. فهو حينئذ يراد به الدين كله أصوله وفروعه من اعتقاداته وأقواله وأفعاله، كقوله تعالى: إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ (آل عمران: 19) وقوله: وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا (المائدة: 3)

وقوله: وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (آل عمران: 85) ونحو ذلك من الآيات.

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم :(بدأ الإسلام غريبا، وسيعود غريبا كما بدأ غريبا، فطوبى للغرباء) وفي مسند الإمام أحمد من حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال :(جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، ما الإسلام؟ قال: أن تسلم قلبك لله، وأن

يسلم المسلمون من لسانك ويدك. قال: فأي الإسلام أفضل؟ قال: الإيمان. قلت: وما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت. قلت: فأي الإيمان أفضل؟ قال: الهجرة. قلت: وما الهجرة؟ قال: أن تهجر السوء. قال: فأي الهجرة أفضل؟ قال: الجهاد). ففي هذا الحديث فسر النبي صلى الله عليه وسلم الإسلام بما فسر به الإيمان، وجعل الإيمان من الإسلام وهو أفضله.

الحالة الثانية: أن يكون مقترنا بالإيمان. فيراد به حينئذ الأعمال والأقوال الظاهرة. كقوله تعالى: قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (الحجرات: 14).

وكقوله صلى الله عليه وسلم لما قال له سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: يا رسول الله، مالك عن فلان؟ فوالله إني لأراه مؤمنا. فقال صلى الله عليه وسلم :(أو مسلما) ثلاث مرات.

وكحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه السابق، حيث جعل الإسلام الأقوال والأعمال الظاهرة. والإيمان أقوال وأعمال القلوب الباطنة.

وغير ذلك من الآيات والأحاديث.

وإنما سمى الله سبحانه وتعالى الأعمال الظاهرة إسلاما؛ لما فيها من الاستسلام لله والخضوع والانقياد لأمره ونهيه، والالتزام بطاعته، والوقوف عند حدوده.

أركان الإسلام:

جاء في حديث جبريل: أن النبي صلى الله عليه وسلم فسر الإسلام بأعمال الجوارح الظاهرة من القول والعمل. وأول ذلك: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وهو عمل

اللسان، ثم إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا، وهي منقسمة إلى عمل بدني: كالصلاة، والصوم، وإلى عمل مالي: وهو إيتاء الزكاة، وإلى ما هو مركب منهما: كالحج.

وإنما ذكر هاهنا أصول أعمال الإسلام التي ينبني عليها، كما دل على ذلك ما جاء في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :(بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج وصوم رمضان).

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: (والمراد من هذا الحديث أن الإسلام مبني على هذه الخمس كالأركان والدعائم لبنيانه. والمقصود تمثيل الإسلام بنيانه، ودعائم البنيان هذه الخمس، فلا يثبت البنيان بدونها، وبقية خصال الإسلام كتتمة البنيان، فإذا فقد منها شيء، نقص البنيان وهو قائم لا ينقض بنقص ذلك، بخلاف نقض هذه الدعائم الخمس؛ فإن الإسلام يزول بفقدها جميعها بغير إشكال، وكذلك يزول بفقد الشهادتين، والمراد بالشهادتين الإيمان بالله ورسوله. وقد جاء في رواية البخاري تعليقا)) :بني الإسلام على خمس: إيمان بالله ورسوله ((وذكر بقية الحديث. وفي رواية لمسلم)) :على خمس: على أن يوحد الله((وفي رواية له)) :على أن يعبد الله ويكفر بما دونه ((. وبهذا يعلم أن الإيمان بالله ورسوله داخل في ضمن الإسلام.

وأما إقام الصلاة، فقد وردت أحاديث متعددة تدل على أن من تركها فقد خرج من الإسلام، ففي صحيح مسلم عن جابر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال)) :بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة.

وذهب إلى هذا القول جماعة من السلف والخلف وذهبت طائفة منهم إلى أن من ترك شيئا من أركان الإسلام الخمسة عمدا أنه كافر بذلك.

: قوله صلى الله عليه وسلم) :الإسلام هو الخمس (يريد أن هذا كله واجب داخل في الإسلام، فليس للإنسان أن يكتفي بالإقرار بالشهادتين، وكذلك الإيمان يجب أن يكون على هذا الوجه المفصل، لا يكتفي فيه بالإيمان المجمل، ولهذا وصف الإسلام بهذا.

وقد اتفق المسلمون على أنه من لم يأت بالشهادتين فهو كافر، وأما الأعمال الأربعة فاختلفوا في تكفير تاركها، ونحن إذا قلنا: أهل السنة متفقون على أنه لا يكفر بالذنب، فإنما نريد به المعاصي كالزنا والشرب. وأما هذه المباني ففي تكفير تاركها نزاع مشهور. وعن أحمد في ذلك نزاع، وإحدى الروايات عنه أنه يكفر من ترك واحدة منها وعنه رواية ثانية: لا يكفر إلا بترك الصلاة والزكاة فقط. ورواية ثالثة: لا يكفر إلا بترك الصلاة والزكاة إذا قاتل الإمام عليها. ورابعة :لا يكفر إلا بترك الصلاة. وخامسة: لا يكفر بترك شيء منهن. وهذه أقوال معروفة للسلف.

ومما يوضح ذلك أن جبريل لما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام والإيمان والإحسان كان في آخر الأمر بعد فرض الحج، والحج فرض سنة تسع أو عشر .

سبب اختصاص هذه الأركان الخمسة بكونها أركان الإسلام دون غيرها من الواجبات :

إذا كان ما أوجبه الله من الأعمال الظاهرة أكثر من هذه الخمس؛ فلما خصت هذه الخمس بكونها هي الإسلام، وعليها بني، دون غيرها من الواجبات؟

والجواب: لأن هذه الأركان الخمسة هي أظهر شعائر الإسلام، وبقيام العبد بها يتم استسلامه، ولهذا كانت واجبة على الأعيان دون سواها.

قال الإمام ابن الصلاح رحمه الله: (وحكم الإسلام في الظاهر يثبت بالشهادتين، وإنما أضاف إليهما الصلاة والزكاة والحج والصوم، لكونها أظهر شعائر الإسلام وأعظمها، وبقيامه بها يتم استسلامه، وتركه لها يشعر بانحلال قيد انقياده أو اختلاله.

العنصر الثاني: مرتبة الإيمان

(والإيمان) هي المرتبة الثانية في الحديث المذكور والإيمان لغة التصديق قال إخوة يوسف لأبيهم وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ [يوسف: 17] يقول بمصدق وأما في الشريعة فلإطلاقه حالتان:

(الحالة الأولى) أن يطلق على الأفراد غير مقترن بذكر الإسلام فحينئذ يراد به الدين كله كقوله عز وجل: اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ [البقرة: 257] وقوله: وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ [آل عمران: 68] وقوله تعالى: أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ [الحديد: 16] وقوله: وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ [إبراهيم: 11] وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ [المائدة: 23] وقوله صلى الله عليه وسلم: ((لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة)) (1). ولهذا حصر الله الإيمان فيمن التزم الدين كله باطنا وظاهر في قوله عز وجل: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ [الأنفال: 2-4] وقوله عز وجل: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ [الحجرات: 15] وقوله تعالى: إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [السجدة: 15-17] وفسرهم بمن اتصف بذلك كله في قوله عز وجل: الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ

يُنفِقُونَ والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُوْلَـئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [البقرة: 1-5] وقال الله تعالى: وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ أُوْلَـئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ [آل عمران: 133-136] وفي قوله تعالى: وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَـاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [الأعراف: 156-157]، وقال الله تعالى: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ [المؤمنون: 1-11] وقال الله تعالى: طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ [النمل: 1-3] وغيرها من الآيات وقد فسر الله تعالى الإيمان بذلك كله في قوله تعالى لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي

الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ [البقرة: 177].

وفسره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك كله في حديث وفد عبد القيس في الصحيحين وغيرهما فقال: ((آمركم بالإيمان بالله وحده قال: أتدرون ما الإيمان بالله وحده قالوا: الله ورسوله أعلم قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وأن تؤدوا من المغنم الخمس))) 2(

وقد جعل صلى الله عليه وسلم صيام رمضان إيمانا واحتسابا من الإيمان وكذا قيام ليلة القدر وكذا أداء الأمانة وكذا الجهاد والحج واتباع الجنائز وغير ذلك وفي الصحيحين: ((الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق)) (3). وهذه الشعب المذكورة قد جاءت في القرآن والسنة في مواضع متفرقة منها ما هو من قول القلب وعمله ومنها ما هو من قول اللسان ومنها ما هو من عمل الجوارح.

ولما كانت الصلاة جامعة لقول القلب وعمله وقول اللسان وعمله وعمل الجوارح سماها الله تعالى إيمانا في قوله تعالى: وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ [البقرة: 143] يعني صلاتكم كما يعلم من سبب نزول هذه الآية. . . والآيات والأحاديث في هذا الباب يطول ذكرها وإنما أشرنا إلى طرف منها يدل على ما وراءه وبالله التوفيق.

وهذا المعنى هو الذي قصده السلف الصالح بقولهم رحمهم الله: إن الإيمان اعتقاد وقول وعمل وإن الأعمال كلها داخلة في مسمى الإيمان وحكى الشافعي على ذلك إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركهم.

(الحالة الثانية) أن يطلق الإيمان مقرونا بالإسلام وحينئذ يفسر بالاعتقادات الباطنة كما في حديث جبريل هذا وما في معناه وكما في قوله تعالى وَالذِّينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات [النساء: 57] في غير موضع من كتابه وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم في دعاء الجنازة: ((اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان)) وذلك أن الأعمال بالجوارح وإنما يتمكن منها في الحياة فأما عند الموت فلا يبقى غير قول القلب وعمله. . .

والحاصل أنه إذا أفرد الإسلام والإيمان بالذكر فلا فرق بينهما حينئذ بل كل منهما على انفراده يشمل الدين كله وإن فرق بين الاسمين كان الفرق بينهما بما في هذا الحديث الجليل والمجموع مع الإحسان هو الدين كما سمى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك كله دينا وبهذا يحصل الجمع بين هذا الحديث وبين الأحاديث التي فيها تفسير الإيمان بالإسلام والإسلام بالإيمان وبذلك جمع بينه وبينها أهل العلم.

العنصر الثالث: مرتبة الإحسان

حقيقة الإحسان لغة وشرعا، وبيان ركنه العظيم :

أ- الإحسان لغة: مصدر أحسن يحسن إحسانا، وهو ضد الإساءة، وهو إجادة العمل وإتقانه وإخلاصه. ويطلق على معنيين :

الأول: متعد بنفسه، كقولك: أحسنت كذا، و في كذا، إذا حسنته وكملته.

الثاني: متعد بحرف جر، كقولك: أحسنت إلى كذا، أي: أوصلت إليه ما ينتفع به .

ب- الإحسان شرعا: يطلق على نوعين :

النوع الأول: إحسان إلى عباد الله. وهو على قسمين :

القسم الأول: واجب، وهو أن تقوم بحقوقهم الواجبة على أكمل وجه. مثل بر الوالدين، وصلة الأرحام، والإنصاف في جميع المعاملات. ويدخل في هذا القسم: الإحسان للبهائم، والإحسان في القتل، لما في صحيح مسلم من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه قال: ثنتان حفظتهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال)) :إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته، فليرح ذبيحته.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: (وهذا الحديث يدل على وجوب الإحسان في كل شيء من الأعمال، لكن إحسان كل شيء بحسبه، فالإحسان في الإتيان بالواجبات الظاهرة والباطنة: الإتيان بها على وجه كمال واجباتها، فهذا القدر من الإحسان فيها واجب، وأما الإحسان فيها بإكمال مستحباتها فليس بواجب.

والإحسان في ترك المحرمات: الانتهاء عنها، وترك ظاهرها وباطنها، كما قال تعالى :وَذَرُواْ ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ [الأنعام: 120]. فهذا القدر من الإحسان فيها واجب. وأما الإحسان في الصبر على المقدورات، فأن يأتي بالصبر عليها على وجهه من غير تسخط ولا جزع. والإحسان الواجب في معاملة الخلق ومعاشرتهم: القيام بما أوجب الله من حقوق ذلك كله، والإحسان الواجب في ولاية الخلق وسياستهم، القيام بواجبات الولاية كلها، والقدر الزائد على الواجب في ذلك كله إحسان ليس بواجب.

والإحسان في قتل ما يجوز قتله من الناس والدواب: إزهاق نفسه على أسرع الوجوه وأسهلها من غير زيادة في التعذيب، فإنه إيلام لا حاجة إليه. وهذا النوع هو الذي ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث، ولعله ذكره على سبيل المثال، أو لحاجته إلى بيانه في تلك الحال).

القسم الثاني: الإحسان المستحب: وهو ما زاد على الواجب من بذل نفع بدني، أو مالي، أو علمي، فيساعد من احتاج إلى مساعدته ببدنه، أو بماله، أو بعلمه، فهذا كله داخل في باب الإحسان، وأجل أنواع الإحسان: الإحسان إلى من أساء إليك، كما قال تعالى :وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ [فصلت: 34- 35].

النوع الثاني: الإحسان في عبادة الله عز وجل. وهو المراد هنا.

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – في شرح حديث جبريل: قوله (الإحسان): (هو مصدر، تقول أحسن يحسن إحسانا. ويتعدى بنفسه وبغيره تقول أحسنت كذا إذا أتقنته، وأحسنت إلى فلان إذا أوصلت إليه النفع، والأول هو المراد لأن المقصود إتقان العبادة. وقد يلحظ الثاني بأن المخلص مثلا محسن بإخلاصه إلى نفسه، وإحسان العبادة: الإخلاص فيها والخشوع وفراغ البال حال التلبس بها ومراقبة المعبود.

وقد عرفه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله :(أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)

والإحسان أعلى مراتب الدين وأعظمها. وأهله هم المستكملون لها السابقون للخيرات، المقربون في علو الدرجات.

وإذا كان الإسلام هو الأركان الظاهرة عند التفصيل واقترانه بالإيمان. والإيمان إذ ذاك هو الأركان الباطنة، فإن الإحسان هو تحسين الظاهر والباطن. وأما عند الإطلاق فإنه يشمل الدين كله.

وقد جاء الإحسان في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، تارة مقرونا بالإسلام، وتارة مقرونا بالإيمان، وتارة مقرونا بالتقوى، أو بهما جميعا، وتارة بالجهاد، وتارة بالعمل الصالح مطلقا، وتارة بالإنفاق في سبيل الله وهو الجهاد

قال الله تعالى :بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ [البقرة: 112 .[وقال تعالى :وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ]لقمان: 22 .[وقال تعالى :إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلا]الكهف: 30 .[وقال تعالى :لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُواْ إِذَا مَا اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ [المائدة: 93 .[وقال تعالى :وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ [العنكبوت: 69 .[وقال تعالى :وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ]البقرة: 195].

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله بعد ذكره لهذه الآيات: (وقد يذكر مفردا كقوله تعالى : لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ]يونس: 26. وقد ثبت في صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله عز وجل في الجنة، وهذا مناسب لجعله جزاء لأهل الإحسان، لأن الإحسان هو أن يعبد المؤمن ربه في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة، كأنه يراه بقلبه، وينظر إليه في حال عبادته، فكان جزاء ذلك النظر إلى الله عيانا في الآخرة.

وعكس هذا ما أخبر الله به عن جزاء الكفار في الآخرة: كَلا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ [المطففين: 15] وجعل ذلك جزاء لحالهم في الدنيا، وهو تراكم الران على قلوبهم، حتى حجبت عن معرفته ومراقبته في الدنيا، فكان جزاؤهم على ذلك أن حجبوا عن رؤيته في الآخرة .

وقال أبو العباس القرطبي رحمه الله: (ولما تكرر الإحسان في القرآن، وترتب عليه هذا الثواب العظيم، سأل عنه جبريل النبي صلى الله عليه وسلم. فأجابه ببيانه، ليعمل الناس عليه، فيحصل لهم هذا الحظ العظيم .

ج- للإحسان ركن واحد بينه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله.))أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك((فأخبر صلى الله عليه وسلم أن مرتبة الإحسان على درجتين، وأن المحسنين في الإحسان على درجتين متفاوتتين:

الدرجة الأولى: وهي أعلاهما. وهي (أن تعبد الله كأنك تراه). يشير إلى أن العبد يعبد الله على هذه الصفة، وهي استحضار قربه، وأنه بين يديه كأنه يراه، وذلك يوجب الخشية، والخوف، والهيبة، والتعظيم، ولذا جاء في رواية أبي هريرة عند مسلم بلفظ)) :أن تخشى الله كأنك تراه.

ويوجب أيضاً: النصح في العبادة، وبذل الجهد في تحسينها وإتمامها وإكمالها. وهذه العبادة – أي عبادة الإنسان ربه كأنه يراه – عبادة طلب وشوق؛ وعبادة الطلب والشوق يجد الإنسان من نفسه حاثا عليها، لأن هذا هو الذي يحبه، فهو يعبده كأنه يراه، فيقصده وينيب إليه ويتقرب إليه سبحانه وتعالى.

الدرجة الثانية: أن تعبد الله لأنه يراك، والمعنى إذا لم تستطع أن تعبد الله كأنك تراه وتشاهده رأي العين، فانزل إلى المرتبة الثانية، وهي أن تعبد الله لأنه يراك.

فالأولى: عبادة رغبة وطمع، والثانية: عبادة خوف ورهب.

وكلاهما. مرتبتان عظيمتان. لكن الأولى أكمل وأفضل، فعبادة الله على وجه المراقبة والطلب أكمل من عبادته على وجه الخوف والرهب .

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: (قوله صلى الله عليه وسلم)) :فإن لم تكن تراه فإنه يراك

قيل: إنه تعليل للأول، فإن العبد إذا أمر بمراقبة الله في العبادة، واستحضار قربه من عبده، حتى كأن العبد يراه، فإنه قد يشق ذلك عليه، فيستعين على ذلك بإيمانه بان الله يراه، ويطلع على سره وعلانيته وباطنه وظاهره، ولا يخفى عليه شيء من أمره، فإذا حقق هذا المقام، سهل عليه الانتقال إلى المقام الثاني، وهو دوام التحديق بالبصيرة إلى قرب الله من عبده ومعيته، حتى كأنه يراه.

وقيل: بل هو إشارة إلى أن من شق عليه أن يعبد الله كأنه يراه، فليعبد الله على أن الله يراه ويطلع عليه، فليستحي من نظره إليه.

إلى أن قال رحمه الله: (وهذا هو حقيقة مقام الإحسان المشار إليه في حديث جبريل عليه السلام، ويتفاوت أهل هذا المقام بحسب قوة نفوذ البصائر.

وقال النووي رحمه الله: (قوله صلى الله عليه وسلم)) :الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ((هذا من جوامع الكلم التي أوتيها صلى الله عليه وسلم، لأنا لو قدرنا أن أحدنا قام في عبادة الله وهو يعاين ربه – سبحانه وتعالى – لم يترك شيئا مما يقدر عليه

من الخضوع والخشوع وحسن السمت واجتماعه بظاهره وباطنه على الاعتناء بتتميمها على أحسن وجوهها إلا أتى به. فقال صلى الله عليه وسلم اعبد الله في جميع أحوالك كعبادتك في حال العيان، فإن التتميم المذكور في حال العيان إنما كان لعلم العبد بإطلاع الله سبحانه وتعالى عليه، فلا يقدم العبد على تقصير في هذه الحال؛ للاطلاع عليه. وهذا المعنى موجود مع عدم رؤية العبد، فينبغي أن يعمل بمقتضاه.

فمقصود الكلام: الحث على الإخلاص في العبادة، ومراقبة العبد ربه – تبارك وتعالى – في إتمام الخشوع والخضوع وغير ذلك (فالحاصل: أن الإحسان أعلى مراتب الدين، وهو يشمل تحسين الظاهر والباطن، ويوجب الخشية والهيبة والتعظيم لله سبحانه، والنصح في العبادة، والإخلاص فيها، ومحبة الله، والإنابة إليه، والخشوع والخضوع له.

وأهل الإحسان هم الصفوة الخلص من عباد الله المؤمنين، ولهذا ورد في الثناء عليهم في القرآن الكريم ما لم يرد في غيرهم. وهم درجات متفاوتة بحسب قوة استحضار قرب الله ومراقبته ومحبته وخشيته في قلوبهم.

الدرس الثاني: الأسماء المذمومة

عناصر الدرس

العنصر الأول: تعريف الكفر وأنواعه

العنصر الثاني: الشرك وأنواعه

العنصر الثالث: تعريف النفاق وأنواعه

العنصر الرابع: تعريف الردة وأنواعها

العنصر الأول: تعريف الكفر وأنواعه.

أولا: تعريف الكفر.

لغة:

الكَفر: بالفتح: الستر والتغطية، يقال: كَفَر الزارع البذر في الأرض: إذا غطَّاه بالتُّراب. وبالضم: ضِدُّ الإيمان، وكفر نعمة الله وبها كُفُوراً وكفراناً: جحدها، وسترها، وكافره حقه: جحده، والمكفَّرُ كَمُعَظَّم: المجحُودُ النِّعمةِ مع إحسانِهِ، وكافرٌ جاحدٌ لأنْعُمِ الله تعالى.

وشرعا:

فالكُفر: هو الستر وجحود الحق وإنكاره، والكافر: ضدّ المسلم، والمرتدُّ: هو الذي كفر بعد إسلامه؛ بقولٍ، أو فعلٍ، أو اعتقادٍ، أو شكٍّ. وحدّ الكفر الجامع لجميع أجناسه وأنواعه وأفراده: هو جحد ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، أو جحد بعضه، كما أن الإيمان: اعتقاد ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم والتزامه، والعمل به جملة وتفصيلاً

والكفر هو: أول ما ذُكِرَ من المعاصي في القرآن الكريم، قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ}، وهو أكبر الكبائر على الإطلاق، فلا كبيرة فوق الكفر.

ثانيا: أنواع الكفر:

النوع الأول: كُفرٌ يُخرِج من الملَّة وهو (الكفر الأكبر). وهو ما كان ضد الإيمان. يقول تعالى: "والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك هم شر البرية". ومن صوره:

1- **كفر التكذيب:** وهو اعتقاد كذب الرسل عليهم السلام، فمن كذبهم فيما جاؤوا به ظاهرا أو باطنا فقد كفر، والدليل قوله تعالى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَما جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ [العنكبوت:68].

2- **كفر الإباء والاستكبار:** وذلك بأن يكون عالما بصدق الرسول، وأنه جاء بالحق من عند الله، لكن لا ينقاد لحكمه ولا يذعن لأمره، استكبارا وعنادا، والدليل قوله تعالى: وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ [البقرة:34].

3- **كفر الشك:** وهو التردد، وعدم الجزم بصدق الرسل، ويقال له كفر الظن، وهو ضد الجزم واليقين.

والدليل قوله تعالى: وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ السَاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لأجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَاكَ رَجُلًا لَكِنا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا [الكهف: 35-38] -.كفر الإعراض، والمراد الإعراض الكلي عن الدين، بأن يعرض بسمعه وقلبه وعلمه عما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، والدليل قوله تعالى: وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَما أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ [الأحقاف: 3].

4- **كفر النفاق:** والمراد النفاق الاعتقادي بأن يظهر الإيمان ويبطن الكفر، والدليل قوله تعالى: ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ [المنافقون:3].

النوع الثاني: كفر لا يُخرج من الملة: وهو (الكفر الأصغر)، أو كفر دون كفر.

وهو ما لا يناقض أصل الإيمان؛ بل ينقصه ويضعفه، ولا يسلب صاحبه صفة الإسلام وحصانته، وهو المشهور عند العلماء بقولهم: (كفر دون كفر) ويكون صاحبه على خطر عظيم من غضب الله – عز وجل – إذا لم يتب منه؛ وقد أطلقه الشارع على بعض المعاصي والذنوب على سبيل الزجر والتهديد؛ لأنها من خصال الكفر، وهي لا تصل إلى حد الكفر الأكبر، وما كان من هذا النوع فمن كبائر الذنوب.

وهو مقتض لاستحقاق الوعيد والعذاب دون الخلود في النار، وصاحب هذا الكفر ممن تنالهم شفاعة الشافعين، ولهذا النوع من الكفر صور كثيرة، منها:

1- **كفر النعمة:**

وذلك بنسبتها إلى غير الله تعالى بلسانه دون اعتقاده.

قال تعالى: يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ [النحل:83]

كقول الرجل: هذا مالي ورثته عن آبائي على سبيل إسناد النعمة إلى آبائه، أو قول أحدهم: لولا فلان لم يكن كذا وغيرها مما هو جار على ألسنة كثير من الناس، والمراد أنهم ينسبونه إلى أولئك، مع علمهم أن ذلك بتوفيق الله.

ومن ذلك تسمية الأبناء بعبد الحارث، وعبد الرسول، وعبد الحسين ونحوها؛ لأنه عبده لغير الله مع أنه هو خالقه والمنعم عليه.

2- **كفران العشير والإحسان:**

عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((أريت النار؛ فإذا أكثر أهلها النساء، يكفرن)) قيل: أيكفرن بالله. قال: ((يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان؛ لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئاً، قالت: ما رأيت خيراً قط)).

3- **الحلف بغير الله تعالى:** لقوله صلى الله عليه وسلم:

((من حلف بغير الله فقد كفر، أو أشرك)))

فإجماع أهل السنة والجماعة على أن هذا الشرك والكفر هما من الأصغر الذي لا يخرج صاحبه من الإسلام، ما لم يعظم المخلوق به في قلب الحالف كعظمة الله تعالى.

4- **قتال المسلم:** لقوله صلى الله عليه وسلم:

((سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر)))

وقوله صلى الله عليه وسلم: ((لا ترجعوا بعدي كفاراً؛ يضرب بعضكم رقاب بعض)).

فهذا النوع من الكفر غير مخرج من الملة باتفاق الأئمة؛ لأنهم لم يفقدوا صفات الإيمان، لقول الله تعالى:

وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا [الحجرات:9]

5- **الطعن في النسب، والنياحة على الميت:**

قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((اثنتان في الناس هما بهم كفر؛ الطعن في النسب، والنياحة على الميت)).

6- الانتساب إلى غير الأب:

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

((لا ترغبوا عن آبائكم؛ فمن رغب عن أبيه فهو كفر)).

وقال صلى الله عليه وسلم: (ليس من رجل ادعى لغير أبيه – وهو يعلمه – إلا كفر، ومن ادعى قوماً ليس له فيهم؛ فليتبوأ مقعده من النار).

وأنواع الكفر الأصغر كثيرة يتعذر حصرها؛ فكل ما جاءت به النصوص الشرعية من تسميته كفراً، و لم يصل إلى حد الكفر الأكبر، أو النفاق الأكبر، أو الشرك الأكبر، أو الفسق الأكبر، أو الظلم الأكبر؛ فهو كفر أصغر.

العنصر الثاني: الشرك وأنواعه:

أولا: تعريف الشرك:

الشرك والشركة، بكسرهما وضمّ الثاني، بمعنى وقد اشتركا، وتشاركا، وشارك أحدهما الآخر، وأشرك بالله، فهو مشرك، ومشركيٌّ، والاسم: الشرك فيهما، ورغبنا في شِرْككم: مشاركتكم في النسب، وأشرك بالله: جعل له شريكاً في ملكه أو عبادته، فالشرك: هو أن تجعل لله نداً وهو خلقك، وهو أكبر الكبائر، وهو الماحق للأعمال، والمبطل لها، والحارم المانع من ثوابها، فكل من عدل بالله غيره بالحب، أو العبادة، أو التعظيم، أو تبع خطواته، ومبادئه المخالفة لملة إبراهيم، فهو مشرك)فظهر مما تقدم: أن الشرك في اللغة: النصيب: أي جعل لغير الله نصيباً في عبادته سبحانه.

والشرك في الاصطلاح الشرعي: هو أن تجعل لله نداً وهو خلقك، أو هو: مساواة غير الله فيما هو من خصائص الله تعالى: من الأسماء أو الصفات أو الربوبية أو العبادة.

ثانيا: أنواع الشرك:

والشرك شركان:

1- **شرك أكبر يُخرِج من الملة:** وهو: صرف شيء من خصائص الله لغيره.
2- **شرك أصغر لا يُخرِج من الملّة**: وهو كل وسيلة وذريعة يتطرق منها إلى الشرك الأكبر من الإرادات والأقوال والأفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة.

هناك فروق بين الشرك الأكبر والأصغر، منها:

1- **أن الأكبر لا يغفر الله لصاحبه إلا بالتوبة**، وأما الأصغر فقد اختلف فيه فقيل: إنه تحت المشيئة. وقيل: إن صاحبه إذا مات فلابد أن يعذبه الله عليه، لكن لا يخلد في النار.
2- **الأكبر محبط لجميع الأعمال**، وأما الأصغر فلا يحبط إلا العمل الذي قارنه (على القول الراجح).
3- **أن الأكبر مخرج عن الملة الإسلامية**، وأما الأصغر فلا يخرج منها، ولذا فمن أحكامه: أن يعامل معاملة المسلمين؛ فيناكح، وتؤكل ذبيحته, ويرث ويورث، ويصلى عليه, ويدفن في مقابر المسلمين.
4- **أن الشرك الأكبر صاحبه خالد مخلد في النار**، وأما الأصغر فلا يخلد في النار وإن دخلها كسائر مرتكبي الكبائر.

العنصر الثالث: تعريف النفاق وأنواعه:

أولا: تعريف النفاق

النفاق في اللغة: النفق سرب في الأرض، مشتق إلى موضع آخر، وفي التهذيب له مخلص إلى مكان آخر، والنفقة والنافقاء، جحر الضب واليربوع، وقيل النفقة والنافقاء موضع يرققه اليربوع من جحره، فإذا أُتي من قبل القصعاء ضرب النافقاء برأسه فخرج ونفق اليربوع، ونَفَق (بالفتح) وانتفق، ونفق خرج منه. ونفق اليربوع تنفيقاً، ونافق أي دخل في نافقائه، ومنه اشتقاق المنافق في الدين، والنِّفاق بالكسر، فعل النافق، والنفاق الدخول في الإسلام من وجه، والخروج عنه من وجه آخر، وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله)) :لتتبعُنَّ سنن الذين من قبلكم، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا في جحر ضب لاتبعتموهم)) قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟

والنفاق: شرعاً: كما قال ابن كثير: النفاق، هو إظهار الخير، وإسرار الشر.

ثانيا: أنواع النفاق:

والنفاق نوعان: يقول ابن كثير رحمه الله عن أنواع النفاق بأنه:

1- "**اعتقادي**، وهو النفاق الأكبر يُخرج من الملّة ويخلد صاحبه في النار.
2- **وعملي** وأصغر لا يُخرج من الملّة، وهو من أكبر الذنوب. قال ابن جريج: المنافق يخالف قوله فعله، وسره علانيته، ومدخله مخرجه، ومشهده مغيبه"

العنصر الرابع: تعريف الردة وأنواعها:

أولا: تعريف الردة

الردة في اللغة تعني صرف الشيء بذاته، أو بحالة من أحواله، يقال: رددته فارتد، ويقال: رده: أي صرفه. ورد الشيء عليه: لم يقبله منه.

والارتداد والردة: الرجوع في الطريق الذي جاء منه لكن الردة تخص بالكفر، والارتداد يستعمل فيه وفي غيره، قال الله تعالى: وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ [سورة المائدة:21]. أي: لا ترجعوا.

والردة اسم من الارتداد، وهو التحول والرجوع عن الشيء إلى غيره، ومنه الرجوع عن الإسلام.

والمرتد أي: الراجع، وهو الذي رجع عن دينه، وكفر بعد إسلامه.)

الردة في الاصطلاح:

هي الكفر بعد الإسلام طوعا؛ إما باعتقاد، أو بفعل، أو بقول، أو شك.

و(هي قطع الإسلام بنية كفر، أو قول كفر، أو فعل مكفر؛ سواء قاله: استهزاء، أو عناداً، أو اعتقاداً)) .

قال الله تعالى: وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ [سورة البقرة:217]

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((من بدل دينه فاقتلوه)).)

واتفق أهل السنة والجماعة؛ بأن الردة لا تصح إلا من عاقل؛ فأما من لا عقل له؛ كالطفل، والمجنون، ومن زال عقله؛ بإغماء، أو نوم، أو مرض، أو شرب دواء يباح شربه؛ فلا تصح ردته، ولا حكم لكلامه بغير خلاف) .

– وعرفها – محمَّد بن أحمد الخطيب الشربينيّ (الشافعيّ). ت:977هـ – في – كتاب (الرِّدَّة): أعاذنا الله تعالى منها (هي) لغةً: الرُّجوع عن الشيء إلى غيره، وهي أفحشُ الكفر وأغلظُه حكماً، محبطةٌ للعمل. وشرعاً (قطع) استمرار (الإسلام) ودوامه، ويحصل قطعه بأمور: (بنيَّةِ) كفرٍ (أو) قطع الإسلام بسبب (قولِ كفرٍ أو فعلٍ) مُكَفِّرٍ... ثم قسم القول ثلاثة أقسام بقوله: (سواء قاله استهزاء أو عناداً أو اعتقاداً) لقوله تعالى:قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ [التوبة:560-66] وكان الأَوْلى تأخيرُ القول في كلامه عن الفعل، لأَنَّ التَّقسيم فيه وخرج بذلك من سبق لسانُه إلى الكفر، أو أُكْرِه عليه، فإنَّه لا يكون مرتدا (والفعل المكفِّر ما تعمَّده) صاحبه (استهزاء صريحاً بالدِّين أو جحوداً له كإلقاء مصحف) (وسجودٌ لصنمٍ)) .

وعرفها – زين الدِّين بن عبد العزيز المليباري (الشافعي). ت:987هـ

(قطعُ مكلَّف) مختار فتلغو من صبي ومجنون ومكره عليها إذا كان قلبه مؤمناً (إسلاماً بكفرٍ عزماً) حالاً أو مآلاً فيكفر به حالاً (أو قولاً أو فعلاً، باعتقادٍ) لذلك الفعل أو القول أي معه (أو) مع (عنادٍ) من القائل أو الفاعل (أو) مع (استهزاءٍ) أي استخفافٍ، بخلاف ما لو اقترن به ما يخرِجُه عن الرِّدَّة كسبق لسانٍ أو حكاية كفرٍ أو خوف))

– وعرفها – محمَّد عبد الرؤوف المناوي (الشافعي). ت:1031هـ

(الردة شرعاً قطع الإسلام بنيَّةٍ أو قولٍ أو فعلٍ مُكَفِّر).

الدرس الثالث: الأقوال في مسمى الإيمان

عناصر الدرس

العنصر الأول: منهج أهل الحديث في الإيمان

العنصر الثاني: الذين أخرجوا العمل عن مسمى الإيمان.

العنصر الثالث: الوعيدية

العنصر الأول: منهج أهل الحديث في الإيمان

أولا: تعريف الإيمان وحقيقته:

الإيمان هو مسمى ديني شرعي ورد تكراره كثيرا في القرآن سواء من ناحية اسم المصدر مما يحدد حقيقته أو من ناحية أهله الذين يطلق عليهم فيحدد حكمهم ومآلهم.

وأهل الحديث نظروا هذا اسم الإيمان فوجدوا أن اسم الإيمان أطلق على أمور عديدة في الشرع، بل إنهم رأوا من خلال استخدام الشارع لهذا الاسم أنه أدخل ضمنه جميع أعمال الدين التعبدية سواء ما كان منها متعلق بالقلب أو اللسان أو الجوارح لا فرق في ذلك، فلهذا قالوا إن اسم الإيمان يشمل جميع الطاعات الباطنة والظاهرة الواجبة والمندوبة، وأن كل طاعة مما أمر الله عز وجل به فهي إيمان. قال ابن عبد البر في "التمهيد": "أجمع أهل الحديث والفقه على أن الإيمان قول وعمل ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والطاعات كلها عندهم إيمان، إلا ما ذكر عن أبي حنيفة وأصحابه فإنهم ذهبوا إلى أن الطاعات لا تسمى إيمانا".

وقال القاضي أبو يعلى: "وأما حده في الشرع فهو جميع الطاعات الباطنة والظاهرة". وهذا هو ما عبر عنه أهل الحديث في تعريفهم للإيمان بقولهم: الإيمان قول واعتقاد وعمل. فالمراد بالقول قول اللسان وأعمال اللسان وما يقوم به من الطاعات من ذكر الله تعالى وقراءة القرآن والدعوة إلى الله ونحوه. والمراد بالاعتقاد ما يقوم بالقلب من تصديق الله عز وجل ورسوله فيما أخبر واليقين بذلك ويدخل فيه أعمال القلوب من الحب والخوف والرجاء وسائر أنواع الطاعات المتعلقة بالقلب. والعمل يراد به أعمال الجوارح التي يتعلق بها الأعمال الدينية كالصلاة والزكاة والحج ونحو ذلك. وقد يراد بالعمل عمل القلب فيشمل جميع الطاعات المتعلقة بالقلب، وعمل الجوارح والمقصود بها الأعمال المتعلقة بالجوارح.

والأدلة على ما قرره أهل الحديث كثيرة منها:

قوله تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ} [البقرة143] والمراد بالإيمان هنا هو الصلاة إلى بيت المقدس، لأن سبب نزول الآية أنه لما حولت القبلة إلى الكعبة كان هناك أناس من الصحابة ماتوا قبل تحويلها فلم يدروا ما يقولوا فيهم فأنزل الله عز وجل هذه الآية.

ومن الأدلة أيضا قوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} [.الحجرات15]

وقال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ، الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً} [.الأنفال2, 3] .

وقال تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ} [المؤمنون1 – 4]

أما الأدلة من السنة فهي كثيرة جدا منها:

حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة فأعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان". وحديث وفد عبد القيس وجاء فيه قوله صلى الله عليه وسلم: "آمركم بالإيمان بالله وحده، قال: هل تدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تؤدوا خمسا من المغنم".

وحديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا". وقال عمار بن ياسر رضي الله عنه: "ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان، الإنصاف من نفسك وبذل السلام للعالم والإنفاق من الإقتار".

ثانيا: زيادة الإيمان ونقصانه

أجمع أهل الحديث على أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية واستدلوا لذلك بأدلة كثيرة منها:

قوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [.الأنفال2]

وقوله تعالى: {وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} [.التوبة124]

وقوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً} [.الفتح4
وقوله تعالى: {لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً} [.المدثر31]
ومن السنة حديث معاذ بن أنس الجهني عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من أعطى لله ومنع لله وأحب لله وأبغض لله وأنكح لله فقد استكمل إيمانه".

وحديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عن النساء: "وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن"، قالت: يا رسول الله وما نقصان العقل والدين؟ قال: "أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل، فهذا نقصان العقل، وتمكث الليالي ما تصلى، وتفطر في رمضان، فهذا نقصان الدين". وحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام قال: "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"

ومن الآثار عن الصحابة في هذا شيء كثير منها:

ما روي عن عمير بن حبيب الخطمي رضي الله عنه قال: "الإيمان يزيد وينقص، قيل له: وما زيادته وما نقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله وحمدناه وسبحناه فتلك زيادته وإذا غفلنا وضيعنا ونسينا فذلك نقصانه".

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يأخذ بيد الرجل والرجلين من أصحابه فيقول: "قم بنا نزداد إيمانا". وروى نحوه عن معاذ بن جبل وعبد الله بن رواحة.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقول في دعائه: "اللهم زدني إيمانا ويقينا وفقها". وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال: "إن من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه وما نقص منه، ومن فقه العبد أن يعلم أيزداد هو أم ينتقص، وأن من فقه الرجل أن يعلم نزغات الشيطان أنى تأتيه". والروايات في هذا كثيرة عن سائر الأئمة من كل طبقة، قال أبو زرعة وأبو حاتم الرازيان رحمهما الله تعالى: "أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازا وعراقا وشاما ويمنا فكان من مذهبهم الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ... "

فهذه النصوص وغيرها كثير تدل على أن الإيمان يزيد وينقص وأن زيادته بالطاعة ونقصه بالمعصية وتقع الزيادة والنقصان على ما في القلب والجوارح.

فالإيمان المتعلق بالقلب من اليقين والحب والتعظيم والخوف من الله عز وجل وكذلك سائر الأعمال القلبية تزداد وتنقص. وكذلك الإيمان المتعلق بالجوارح من الصلاة والزكاة والحج وسائر الأعمال كلما زادت زاد الإيمان وإن نقصت نقص الإيمان.

وإن ارتكب المسلم شيئا من المحرمات نقص إيمانه الذي في قلبه من حب الله واليقين بلقائه وتعظيمه والخوف منه كما أنه نقص إيمانه بارتكابه ما حرم الله عز وجل عليه، والنقص للإيمان القلبي وكذلك الزيادة شيء طردي بمعنى أن الطاعة تزيد في إيمان القلب، وإيمان القلب يبعث الجوارح على العمل. وكذلك المعصية تضعف إيمان القلب والقلب يضعف عمل الجوارح، وهذا شيء يدركه الإنسان المسلم المنتبه لآثار أعماله، فإنه إذا أطاع الله تعالى فإنه يشعر بقوة الرغبة فيما عند الله والحب له وانشراح الصدر للازدياد من الطاعات وكذلك إذا أخل بواجب أو عصى الله عز وجل فإنه يشعر بضعف إيمانه ويقينه وضعف رغبته فيما عند الله تعالى، كما يؤثر ذلك أيضا على انبعاثه للطاعات فلا يجد نفسه مقبلا عليها راغبا فيها بسبب معصيته، كما أنه سيشعر بضعف في مقاومة المفاسد والمعاصي وقد يقع فيها مرة بعد مرة إذا لم يتداركه الله برحمته وهدايته. وهذا مصداق ما روي عن عبد الله مسعود رضي الله

عنه قال: "إن الرجل ليذنب الذنب فينكت في قلبه نكتة سوداء ثم يذنب الذنب فتنكت أخرى حتى يصير لون قلبه لون الشاة الربداء"، وما روي عن عطاء بن أبي رباح رحمه الله تعالى قال: "ليس إيمان من أطاع الله كإيمان من عصى الله".

ثالثاً: أن إيمان المؤمنين متفاوت.

بما سبق ذكره من الأدلة يتبين أن الإيمان شعب وأجزاء وأنه يزداد بالطاعة وينقص بالمعصية فبالتالي أهله فيه متفاوتون، منهم من هو في أعلى المقامات تصديقا ويقينا وعملا وهؤلاء هم الأنبياء عليهم السلام، هم أعلى بني أدم إيمانا وخشية وتقى وعملا، قال صلى الله عليه وسلم: "إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا". ثم من بعد النبيين عليهم السلام يأتي الصديقون ثم الأمثل فالأمثل من الأمة.

ومن الأدلة الدالة على تفاوت المؤمنين في الإيمان ما روى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بينا أنا نائم رأيت الناس يعرضون علي وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي ومنها ما دون ذلك وعرض علي عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره، قالوا: فما أولت ذلك يا رسول الله؟ قال: الدين".

وعن عائشة رضي الله عنه قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا".

وعن عمرو بن شرحبيل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن عمار ملئ إيمانا إلى مشاشه". وقال ابن أبي مليكة: "أدركت ثلاثين من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم أحد يقول إنه على إيمان جبريل وميكائيل".

وعن عمر بن عبد العزيز رحمه الله قال: "إن الإيمان فرائض وشرائع وحدود وسنن فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان فإن أعش فسأبينها لكم حتى تعملوا بها، وإن أنا مت قبل ذلك فما أنا على صحبتكم بحريص".

فهذه النصوص تبين أن أهل الإيمان والتقوى متفاوتون في إيمانهم، سواء فيما وقر في قلوبهم أو بما يقومون به من أعمال الإيمان.

كما أن الإيمان ينقص لدى أهل المعاصي، حتى ما يبقى منه إلا مثل حبة خردل كما ورد في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقول الله تعالى أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان فيخرجون منها قد اسودوا فيلقون في نهر الحياة أو الحياء – شك مالك- فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية".

وروى ابن أبي عاصم عن ميمون بن مهران أنه رأى جارية تغني فقال: "من زعم أن هذه على إيمان مريم بنت عمران فقد كذب".

وقال سفيان بن عيينة عن الإيمان: "قول وعمل وقال: يزيد ما شاء الله وينقص حتى لا يبقى منه مثل هذه، وأشار بيده ثم قال بعد أن ذكر خصال الإيمان والدين: فمن ترك خلة من خلل الإيمان جاحدا كان بها عندنا كافرا ومن تركها كسلا وتهاونا أدبناه، وكان بها عندنا ناقصا، هكذا السنة أبلغها عني من سألك من الناس".

الآثار المترتبة على منهج أهل الحديث في الإيمان وثمراته

إن التزام الكتاب والسنة يوصل المسلم إلى بر السلامة وشاطئ الأمان في جميع شؤونه، لأن الخير منوط بهما والشر بالإعراض عنهما وابتغاء الهدى في غيرهما.

وإن لالتزام أهل الحديث بالكتاب والسنة ثمرات وأثار عظيمة دنيوية وأخروية وسنشير في عجالة مختصرة إلى أثار وثمرات منهج أهل الحديث في الإيمان وهي:

1 – الالتزام بالتحديدات الشرعية في المسألة.

من آثار منهجهم في الإيمان هو الارتباط بكلام الله عز وجل وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم في هذه المسألة العظيمة. وهذا له أهمية كبرى من ناحية تعظيم كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم وابتغاء الهدى منهما، كما أن في الوقوف على مراد الشارع في المسألة عصمة من الوقوع في مناقضة كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم في الأمور المترتبة على المسميات الشرعية في العقائد والأحكام. وأيضا فإن الوقوف على مراد الشارع في ذلك فيه أجر عظيم لأن ذلك من تدبر كلام الله والتفقه في دين الله الذي أُمر به المسلم.

2 – فتح باب التنافس في ارتقاء درجات الإيمان للوصول إلى أعلى الجنان.

إن اعتقادهم أن الإيمان قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية يفتح الباب واسعا للتنافس المحمود بين أهل الإيمان لأنه كلما ازداد طاعة كلما ازداد إيمانا وكلما ازداد إيمانا ازداد إقبالا على الخير والطاعة وبالتالي ازداد رفعة وقربا من خالقه جل وعلا وهذا ما وصف الله عز وجل به عباده الصالحين، قال جل وعلا: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ} [الإسراء57] وقال: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ} [فاطر22] .

3 – تنزيل الناس منازلهم وعدم التسوية بين المؤمنين والفجار.

إن من الآثار المترتبة على قول أهل الحديث في الإيمان عدم المساواة بين الناس في الإيمان، فلا يساوى العبد الصالح التقي بالعبد الفاجر الفاسق. فعدم المساواة بينهما من العدل الذي يحبه الله عز وجل، أما المساواة بينهما فهو من الظلم الذي نفاه الله تعالى عن نفسه، قال جل وعلا: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} [الجاثية21] وقال جل وعلا: {أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ} [ص28]

4 – عدم فتح باب التمني والرجاء الكاذب للعصاة بظنهم أنهم أهل الإيمان الداخلون فيما وُعد به المؤمنون.

إن العصاة لا يصح أن يقال عنهم بإطلاق إنهم مؤمنون، لأن وصف الإيمان اسم مدح رتب الله عز وجل عليه دخول الجنة. قال تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا} [التوبة72] وقال تعالى: {يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [الحديد12] والعصاة ليسوا من أهل هذا الوعد بل هم تحت المشية.

وأهل الحديث يمنعون أن يوصف العصاة بالإيمان المطلق فلا يقال عنهم مؤمنون بإطلاق وإنما يقال عن العاصي مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته أو مؤمن عاص. وذلك حتى لا يظن في نفسه أو يغرر به الشيطان أنه من أهل الوعد مع أن حقيقته أقرب إلى الوعيد بسبب عصيانه وانحرافه، وهذا له دور كبير في تنبيه العاصي وتخويفه لعله يقلع عن ذنبه ويثوب إلى رشده ويستقيم على أمر ربه.

5 – إثبات أصل الإيمان للعصاة وتصحيح إسلامهم وعدم تكفيرهم.

العصاة لهم إيمان وهم مسلمون، وفسقهم لا ينافي إسلامهم، وقول أهل الحديث في الإيمان يثبت لهم ذلك، وذلك أمر مهم جدا حتى يندرجوا في عداد المسلمين وتصح أيضا عباداتهم وقرباتهم التي أتوا بها على وجه صحيح لأن فسقهم بناء على قول أهل الحديث لم يخرجهم من الإيمان ولا يصح أن يحكم عليهم بالكفر بسببه.

6 – فتح باب الرجاء للعصاة وعدم تقنيطهم من رحمة الله عز وجل لوجود أصل الإيمان معهم.

من آثار مذهب أهل الحديث أنه يفتح باب الرجاء في رحمة الله تعالى للعصاة، وأنه لا يقنطهم من رحمة الله عز وجل، وهذا له دور كبير في أن الفاسق يشعر بأنه غير مطرود وأن حباله ممدودة وأن سبل نجاته متيسرة وما عليه إلا أن يحطم أغلال هواه وينتشل نفسه من أسر شيطانه فيسلك سبيل الصالحين، ويدرج على خطى المؤمنين ليكون من عباد الله المتقين الفالحين.

العنصر الثاني: الذين أخرجوا العمل عن مسمى الإيمان.

الذين أخرجوا العمل عن مسمى الإيمان هم على النحو الآتي:

1 – الجهمية: أتباع الجهم بن صفوان الذي كان يزعم أن الإيمان هو معرفة القلب، وأنه لا يتبعض ولا يتفاضل فيه أهله.

2 – الأشاعرة والماتريدية: قالوا إن الإيمان هو التصديق القلبي، ومنهم من قال إنه لا يزيد ولا ينقص كالباقلاني والجويني والرازي وعليه أكثر الماتريدية.

ومنهم من قال: إن التصديق القلبي يقبل الزيادة والنقصان من حيث القوة والضعف لوضوح الأدلة والبراهين عليه وقال بهذا اللإيجي والغزالي.

3 – أبو حنيفة وأصحابه: قالوا الإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان وهو لا يزيد ولا ينقص. ووافقهم في هذا بعض الماتريدية.

4 – الكرامية: قالوا إن الإيمان هو الإقرار باللسان دون القلب.

فهذه الأقوال المشهورة في الإيمان وزيادته ونقصانه.

فجميع هذه الطوائف أخرجت العمل من مسمى الإيمان، فبالتالي أنكروا زيادة الإيمان ونقصانه، ومن قال بالزيادة والنقصان فإنما نظر إلى أن تصديق القلب يقوى ويضعف بقوة الأدلة ووضوح البراهين، وهذا وإن كان وجها في الزيادة

والنقصان في الإيمان إلا أنه ليس هو المقصود فقط في كلام أهل الحديث بل الزيادة والنقصان في كلامهم تقع على ما في القلب والجوارح.

أدلة من أخرج العمل عن مسمى الإيمان.

يجمع القائلون بالقول بعدم دخول الأعمال في الإيمان على الأدلة الدالة على ما يدل على أن الإيمان في القلب دون الجوارح ومن أهم أدلتهم:

1 –أن الإيمان في اللغة هو التصديق، واستدلوا بقوله تعالى: {وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا} [يوسف19] أي بمصدق لنا، وما دام الإيمان في اللغة التصديق فهو كذلك في الشرع. وهذا أهم أدلتهم، وهو عمدتهم في عدم دخول العمل في الإيمان.

2 – أن الله فرق بين الإيمان والعمل الصالح في آيات كثيرة مثل: {وَالْعَصْرِ، إِنَّ الْأِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [العصر1, 2] وقالوا: العطف يقتضي المغايرة.

3 – أن الله خاطب المؤمنين باسم الإيمان قبل أن يوجب عليهم الإعمال في مثل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ} [البقرة183] .

مناقشة استدلالاتهم:

1 – الرد على استدلالهم باللغة:

إن الاستدلال باللغة غير صحيح لعدة أسباب:

أ – أن لفظ التصديق ليس مرادفا للفظ الإيمان لما يلي:

1 – أن لفظ الإيمان يتعدى باللام مثل "بمؤمن لنا" و"آمن له لوط" ويتعدى بالباء مثل "آمنا بالله"، أما لفظ التصديق فلا يتعدى باللام إلا نادرا وإنما يتعدى بنفسه مثل "صدقه" أو بالباء مثل "صدق به".

2 – أن لفظ الإيمان يقابله لفظ الكفر فيقال "أمن به وكفر به" بخلاف لفظ التصديق فإنه يقابله لفظ التكذيب فيقال "صدقه وكذبه".

3 – أن لفظ الإيمان لا يستعمل إلا في الخبر عن غائب، فيقال "آمن بالله وآمن بالملائكة"، وذلك لما في لفظ الإيمان من الائتمان. أما التصديق فيستعمل في الخبر عن الغائب والمشاهد فيقال لمن قال: الله موجود أو السماء فوقنا: صدق.

ب – أن لفظ التصديق ليس خاصا بالقلب وإنما ورد أيضا في العمل وذلك في قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة: فزنا العين النظر وزنا اللسان المنطق والنفس تمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك ويكذبه".

وقال الحسن البصري رحمه الله: "ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقته الأعمال".

فقد أطلق لفظ التصديق على العمل في كلا الروايتين.

ج – إن الاستدلال باللغة هنا غير صحيح، لأن الخلاف ليس في معنى الإيمان اللغوي، وإنما الخلاف في معناه الشرعي ومن المعلوم أن الشارع له اصطلاحات في الألفاظ خاصة به مثل لفظ الصلاة والزكاة

والحج لها معان في اللغة، ولكن الشارع أضاف عليها قيودا واستخدمها استخداما خاصا، فإذا أطلقت في كلام الشارع فلا يراد بها إلا المعنى الشرعي، فكذلك لفظ الإيمان إذا كان معناه في اللغة التصديق، فلا يلزم أن يكون هو معناه في الشرع، بل إنا وجدنا الشارع قد أضاف إلى التصديق الأعمال والأقوال، وسمى الكل إيمانا فيكون الشارع أراد بلفظ الإيمان معنى خاص به كما أراد بلفظ الصلاة معنى خاص.

2 – الرد على استدلالهم بأن الإعمال الصالحة عطفت على الإيمان في آيات عديدة والعطف يقتضي المغايرة.

الجواب عن هذا إن عطف الشيء على الشيء يقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه، مع اشتراك بينهما في الحكم الذي ذكر لهما في سائر الكلام.

ثم ذكر أن المغايرة على مراتب:

1 – أن يكون المعطوف والمعطوف عليه متباينين ليس أحدهما هو الآخر ولا جزأه مثل قوله تعالى: {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ} [الأنعام1] و {وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ} [آل عمران3] وهو الغالب.

2 – أن يكون بينهما لزوم كقوله تعالى: {وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ} [النساء136] فإن من كفر بالله فقد كفر بهذا كله فالمعطوف لازم للمعطوف عليه.

3 – عطف الشيء على الشيء لاختلاف الصفتين كقوله تعالى {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى، الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى، وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى} [الأعلى1 – 3] فعطف "الذي قدر فهدى" على "الذي خلق فسوى" وهو واحد وهو الله عز وجل، وإنما عطفه لاختلاف الصفتين.

4 – عطف بعض الشيء عليه كقوله تعالى: {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى} [البقرة238] فالصلاة الوسطى بعض الصلوات. وقوله تعالى: {تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا} [القدر4] والروح هو جبريل وهو من الملائكة، وإنما ذكر بالتخصيص للاعتناء به والتنبيه على قدره وعطف العمل الصالح على الإيمان من هذا الجنس إنما عطفه على الإيمان وهو جزء منه للتنبيه عليه والعناية به.

3 – الرد على استدلالهم بأن الله خاطب المؤمنين باسم الإيمان قبل أن يفرض عليهم الأعمال.

والجواب عن ذلك: أن الله خاطب المؤمنين باسم الإيمان، الذي كان واجبا عليهم وآمنوا به من قبل لأن فرائض الإسلام وشرائعه نزلت مفرقة فأول ما أوجب على عباده الشهادتين فآمنوا بها وأقروا فزادهم الشرائع الأخرى الصلاة ثم الصيام والزكاة وكلما نزلت شريعة خاطبهم باسم الإيمان الذي كانوا عليه من قبل، لأنهم لو لم يؤمنوا بما نزل من الشرائع متأخرا كالحج ونحوه لكفروا و لم ينفعهم إيمانهم السابق فإنما خاطبهم الله باسم الإيمان السابقة على نزول الفريضة.

ثانيا: القول في وجوب العمل.

من قال بأن العمل المراد به الطاعات الواجبة والمندوبة، ويدخل هنا الانتهاء عن المحرمات والمحظورات. هم في ذلك على قولين:

1 -الذين يزعمون أن العمل غير واجب ويدعون أن المؤمن مهما ترتكب من المعاصي أو أخلّ بالواجبات فالنجاة متحققة له ويقولون: إنه لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة وعزي هذا القول إلى اليونسية والعبيدية.

2 -هم من عدا من ذكر فإنهم يرون أن العمل واجب وأن العاصي تحت المشيئة يوم القيامة فإن شاء الله عذّبه وإن شاء غفر له. وهذا القول منهم خفّف الخلاف بينهم وبين من أدخل العمل في مسمى الإيمان وجعل الخلاف في مسمى الإيمان فقط.

أما الذين أنكروا وجوب العمل، فهذا قول لا يعرف لأحد له شهرة في العلم ولا قدم راسخة في الدين، وقولهم مناقض لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم وجهاده والتشريع الإسلامي على العموم، فلسقوطه وفساده نعرض عن ذكر ما يستندون إليه من شبه وتصورات هي بعيدة كل البعد عن حقيقة الدين والإسلام.

أدلة القائلين بأن العمل غير واجب:

يستدلون بالأحاديث التي يسميها العلماء أحاديث الوعد، وذلك مثل حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة".

وحديث عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة".

وحديث عتبان بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يشهد أحد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فيدخل النار أو تطعمه".

مناقشة أدلتهم:

الأحاديث التي ذكرت في أدلتهم يقابلها أحاديث كثيرة وردت في دخول أناس من أهل التوحيد النار، كما في حديث حذيفة رضي الله عنه "لا يدخل الجنة نمّام"، وحديث معقل بن يسار رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة".

وحديث أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار". وغير ذلك من الأحاديث

أن هؤلاء يأخذون ببعض النصوص، ويتركون البعض الآخر. فقد أخذوا بأحاديث الوعد، وتركوا أحاديث الوعيد. والخوارج والمعتزلة أخذوا بأحاديث الوعيد وتركوا أحاديث الوعد.

والأخذ يجب اتباعه هو الأخذ بجميع النصوص ما أمكن الجمع بينها، وبناءً على هذه النصوص جميعها، أن من مات من أهل الإسلام وهو على شيء من الذنوب فهو تحت المشيئة إن شاء غفر له وإن شاء عذبه، ويرجون للمحسن ويخافون على المسيء.

وقد تنوع جواب أهل العلم في الروايات التي يستند إليها من قال بعدم وجوب العمل إلى عدة أجوبة، منها:

1 – أن هذه الفضيلة في تلك الأحاديث هي لمن قالها عند الندم والتوبة، ومات على ذلك، وبهذا قال البخاري.

2 – أن المراد بدخول الجنة في هذه الأحاديث هو دخولها بعد مجازاته بما يستحق من العقوبة إن لم يغفر الله له.

3 – أن المراد من تحريم دخول النار، أي عدم دخول النار التي أعدت للكافرين التي من دخلها لا

يخرج منها، بخلاف النار التي يدخلها عصاة الموحدين ممن شاء الله عقابه.

4 – أن لا إله إلا الله سبب لدخول الجنة والنجاة من النار ومقتضى لذلك، ولكن المقتضى لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه، وقد يتخلف عنه مقتضاه لفوات شرط من شروطه أو لوجود مانع، وبهذا قال الحسن للفرزدق وهو يدفن امرأته: ما أعددت لهذا اليوم؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة. قال الحسن: نعم العدة، ولكن لا إله إلا الله

شروطاً، فإياك وقذف المحصنات. وقيل للحسن: إن ناساً يقولون: من قال لا إله إلا الله دخل الجنة، فقال: من قال لا إله إلا الله فأدى حقها وفرضها دخل الجنة.

قال وهب من منبه لمن سأله: أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟ قال: بلى، ولكن ما من مفتاح إلا وله أسنان، فإن أتيت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك.

وهذا ظاهر كلام القاضي عياض، وما رجحه النووي وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وابن رجب وابن حجر، وكثير من الأئمة، وهو أنه لابد مع لا إله إلا الله من عمل الصالحات وتجنب السيئات، الذي هو تحقيق لمعناها ومقتضاها، ودليل على الصدق فيها.

آثار الذين أخرجوا العمل عن مسمى الإيمان.

إخراج العمل عم مسمى الإيمان له آثار ولوازم فاسدة من أهمها:

1 – مخالفة كلام الله عز وجل وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم في تحديد الإيمان ووصفه.

فمن زعموا أن الإيمان هو التصديق فقط أو التصديق مع القول على قول بعضهم، وهذا أخذ ببعض الكتاب وترك للبعض الآخر إذ هو آخذ للنصوص التي ذكرت أن الإيمان هو ما في القلوب، مثل قوله تعالى: {أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ} [المجادلة22] أو الآيات التي تضمّنت ذكر قول اللسان وذلك في مثل قوله صلى الله عليه وسلم: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله" 1 وتركوا النصوص التي تجعل الإعمال من ضمن الإيمان مثل قوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} [الحجرات15] ، وقوله صلى الله عليه وسلم: "الإيمان بضع وسبعون شعبة فأعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان"، ونحوه من الأحاديث التي أدخلت العمل في الإيمان.

كما خالفوا كلام الشارع في وصف الإيمان بأنه يزيد وينقص حيث وردت آيات وأحاديث عديدة في وصف الإيمان بأنه يزيد وينقص فخالفها من زعموا أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص وليس لهم في ذلك مستند شرعي.

2- زعمهم أن الفاسق مؤمن كامل الإيمان ومنهم من يدخل النار يوم القيامة.

هم زعموا أن الفاسق لما أتى بالتصديق فهو مؤمن كامل الإيمان، وإن ارتكب من المعاصي ما ارتكب وعندهم كما سبق أن العصاة يوم القيامة تحت المشيئة، ومنهم من يدخل النار كما ثبت بالأحاديث، وهذا يلزم منه أن يدخل العصاة أو بعضهم النار مع أنهم مؤمنون كاملوا الإيمان، وهذا خلاف ما وعد الله به المؤمنين في مثل قوله عز وجل: {وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا} [التوبة72] .

3 - وصفهم الفساق بصفة المدح والثناء وهي الإيمان.

هم زعموا أن الفاسق مؤمن كامل الإيمان ووصف الإيمان وصف مدح وثناء رتب الله عليه الجنة وهو مثل بر وتقي وصالح، مع أن الفساق ليسوا كذلك بل ورد في الشرع ذمهم لتلبسهم بالأعمال المحرمة، فكيف يستقيم أن يكون ممدوحا على جهة الكمال والتمام وهو في نفس الوقت مذموم.

4 - مساواتهم بين أفسق الناس وأتقى الناس في الإيمان.

هم جعلوا الإيمان شيئا واحدا أو من شيئين لا يتفاوت أهله فيه، فبالتالي من أنفق ساعاته وحياته كلها في معاصي الله عز وجل، والوقوع فيما حرمه الله، وهو مقر لله بالربوبية والألوهية ومصدق للنبي صلى الله عليه وسلم في الرسالة مثل جبريل وميكائيل وسائر الأنبياء عليهم السلام في الإيمان. ولاشك أن المساواة بين أفسق الناس وأتقى الناس في الإيمان قول باطل.

العنصر الثالث: الوعيدية

المراد بالوعيدية: هم من قطع بإنفاذ الوعيد في أهل الإيمان والإسلام، و لم ير لأهل الفسق في الرحمة نصيب ولا رجاء.

والمراد بهم هنا: المعتزلة والخوارج.

وسنذكر قول الخوارج والمعتزلة في تعريف الإيمان في زيادته ونقصانه.

أولاً: قول الخوارج والمعتزلة في الإيمان:

الخوارج والمعتزلة قالوا: إن الإيمان هو جميع الطاعات الواجبة وهو لا يزيد ولا ينقص.

ومن أخل بشيء من الواجبات أو ارتكب شيئاً من المنهيات، فقد خرج من الإسلام ودخل في الكفر عند الخوارج، أما المعتزلة فعندهم أنه خرج من الإسلام و لم يدخل في الكفر فهو في منزلة بين المنزلتين

الفرق بين قول الخوارج والمعتزلة وقول أهل الحديث:

الخوارج والمعتزلة وافقوا أهل الحديث في تعريف الإيمان بإدخال الأعمال في مسمى الإيمان إلا أنهم خالفوا أهل الحديث بأن جعلوا الأعمال شرطاً في صحة الإيمان، فمن أخل بشيء من الواجبات أو ارتكب شيئاً من المنهيات عند الخوارج خرج من الإيمان ودخل في الكفر، وعند المعتزلة هو في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر.

أما عند أهل الحديث فإن الأعمال من الإيمان، فمن أخل بش من الواجبات أو ارتكب شيئاً من المنهيات نقص إيمانه عن القدر الواجب، وعرض نفسه للعقوبة و لم يستحق اسم الإيمان المطلق إلا أنه لا يخرج من الإيمان إلا بارتكاب عمل كفري أو ترك الصلاة على قول كثير من العلماء.

أدلة الخوارج والمعتزلة:

الخوارج والمعتزلة خالفوا أهل الحديث في مسمى وحكم من أخل بشيء من الواجبات، أو ارتكب شيئاً من المحرمات، فسماه الخوارج كافراً، وحكموا عليه به، أما المعتزلة فقد أخرجوه من الإيمان و لم يدخلوه في الكفر. وقد استدل كل منهم بأدلة.

أولاً: أدلة الخوارج والمعتزلة.

استدل الخوارج على قولهم بتكفير مرتكب الكبيرة بالأدلة التي ورد فيها إطلاق الكفر على مرتكب بعض المعاصي مثل قول الله عز وجل: {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} [المائدة

44] . ومثل قوله صلى الله عليه وسلم: "أيما عبد أبق من مواليه فقد كفر". أو قوله صلى الله عليه وسلم: "ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر".

واستدل المعتزلة بالنصوص التي تسلب الإيمان عن العاصي وتصفه بالفسق، مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن.."، أو حديث "لا إيمان لمن لا أمانة له" ، أو حديث "والله لا يؤمن الذي لا يأمن جاره بوائقه" 2 ونحو ذلك من الأحاديث.

مناقشة أدلة الوعيدية:

مناقشة أدلة الخوارج والمعتزلة يكون من وجهين:

الوجه الأول: في بيان معنى النصوص التي استدل بها كل من الخوارج والمعتزلة.

أولاً: أدلة الخوارج:

الأدلة التي استدل بها الخوارج وفيها وصف عامل بعض الأعمال بالكفر للعلماء فيها عدة أجوبة، منها:

1 – أن المقصود بذلك المستحل للفعل المذكور، لأن المستحل لذلك مكذب لنص القرآن أو السنة في تحريم الفعل المنهي عنه، فيكون بذلك كافراً.

2 – أن المراد أن ذلك الفعل مؤد إلى الكفر، لأنه كما قيل: المعاصي بريد الكفر.

3 – أن المراد به كفر النعمة وكفر الإحسان.

4 – أن المراد التغليظ، وليس الكفر بالله.

5 – أن ذلك الفعل من أخلاق الكفار وأعمالهم، ولا يعني أن صاحبه كافر خارج من الإسلام.

6–أن المراد ليس الكفر الأكبر، وإنما هو كفر دون كفر.

ومما يدل على صحة هذا، أن الشارع ورد عنه تقسيم بعض هذه التسميات إلى قسمين، وذلك مثل قوله عليه الصلاة والسلام: "إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر..". فدل هذا على أن الشرك شركان أكبر وأصغر.

وكذلك ما ورد من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "لما نزلت {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ

يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} [الأنعام82] شق ذلك على المسلمين فقالوا: يا رسول الله أينا لا يظلم نفسه؟ قال: ليس ذلك، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه {يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان13]

فهذا دليل على أن الظلم ظلمان، ظلم دون ظلم، وهو ظلم العبد لنفسه بالذنوب، وظلم عظيم وهو الشرك.

ومن هذا قوله عليه الصلاة والسلام من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: "أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا أئتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر".

فهذا دليل على أن النفاق منه ما يكون أكبر، وهو النفاق في الإيمان بأن يظهر الإيمان ويبطن الكفر، ومنه ما هو دون ذلك، وهو أن يكون فيه من أخلاق المنافقين.

ومن هذا الباب لفظ الكفر، فقد أطلق النبي صلى الله عليه وسلم لفظ الكفر على بعض الأعمال، وفسره بغير الكفر بالله، وذلك في قوله عليه الصلاة والسلام فيما روى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أريت النار فإذا أكثر أهلها النساء يكفرن قيل: أيكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى إحداهن الدهر، ثم رأت منك شيئاً قالت: ما رأيت منك خيراً قط" ومما يدل على هذا المعنى ما روى ابن جرير بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى: {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} [المائدة44] قال: هي به كفر، وليس كفراً بالله وملائكته وكتبه ورسله. وروي عنه أنه قال: من جحد ما أنزل الله فقد كفر، ومن أقر به و لم يحكم فهو ظالم فاسق.

وروي عن عطاء أنه قال في الآية كفر دون كفر، فسق دون فسق، وظلم دون ظلم. ومثله قال طاووس، وهو ما رجحه ابن جرير.

وهو ما يشير إليه صنيع النووي في تبويبه لصحيح مسلم، وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وما رجحه شارح الطحاوية، وهو أرجح الأقوال في جواب الأحاديث التي وصفت بعض الذنوب بالكفر 3.والله أعلم.

ثانياً: أدلة المعتزلة.

الأدلة التي استدل بها المعتزلة وفيها نفي الإيمان عن مرتكبي بعض الأعمال، فليس المراد بنفي الإيمان أنه لم يبق معه شيء من الإيمان، وإنما هو نفي لكماله الواجب الذي يعرض تاركه للعقوبة، فقوله: "لا إيمان لمن لا أمانة له" يعني أنه فاقد للجزء المهم من الإيمان الذي بفقده يصبح صاحبه كأنه خال منه، وهو مثل صانع يصنع عملاً لأحد، إلا أنه لم يحسنه فيقال له: ما صنعت شيئاً، أو مثل طالب العلم يذهب ليتعلم العلم ثم لم يحسن التعلم فجاء علمه قليلاً ضعيفا فيقال عنه إنه لم يتعلم شيئاً، ولا يعني ذلك نفي الصفة ولا نفي العلم بتاتاً، وإنما يعني نفي حقيقته، ونفي الشيء الذي به يستحق أن يوصف به.

فكذلك الإيمان إذا وقع صاحبه في تلك الذنوب، إنما ينفي عنه حقيقته وإخلاصه، الذي لو كان موجوداً عنده لعصمه وأبعده عن تلك الموبقات والمحرمات. والله أعلم.

الوجه الثاني: وهو في بيان أن المعاصي لا تزيل الإيمان ولا توجب كفر فاعلها:

أجمع أهل السنة على أن المعاصي لا توجب الكفر واستدلوا لذلك بعدة أدلة:

1 – أنه لو كان كفراً مخرجاً من الملة لكانوا بذلك مرتدين، ووجب قطع نكاحهم وتوارثهم، ولوجب قتلهم لردتهم. وهذا كله لم يقع من النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يحكم الله بذلك فنجد أن الله حد الحدود في الزاني البكر الجلد، وفي الثيب الرجم، وفي شارب الخمر الجلد، وفي السارق القطع. والنبي صلى الله عليه وسلم نفذ هذه الحدود فيمن ارتكب شيئاً من المنهيات، ولم يقتل إلا من كان حده القتل، وكذلك فعل أصحابه رضوان الله عليهم. فهذا دليل واضح على أنه لا يخرج من الإسلام ولا يكفر.

2–أن الله جل وعلا قد أثبت الإيمان لبعض العصاة في مثل قوله عز وجل: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ} [ال حجرات9]. فوصفهم بالإيمان في حال القتال، وهذا يدل على أنهم لا يخرجون بذلك من الدين. وكذلك قال صلى الله عليه وسلم في كلامه عن الحسن بن علي رضي الله عنه: "إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين".

فوصفهم بالإسلام مع وقوع القتال بينهم، مما يدل على عدم خروجهم من الإسلام.

3-أنهم في الآخرة تحت المشيئة داخلون تحت عموم قوله عز وجل: {إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء48] .

كما ثبت في أحاديث كثيرة خروج أناس كثير من العصاة من النار، كما أن أحاديث الشفاعة تدل على أنه لا يخلد في النار إلا الكفار، فلو كان مرتكبو الكبائر كفاراً كفراً أكبر لكانوا من الخالدين في النار، وفي هذا كفاية ومقنع لمن هداه الله.

وقبل أن نختم الكلام في هذه المسألة نشير إلى أمر مهم اشترك فيه سائر المخالفين للسلف في الإيمان وهو: أنهم قالوا أن الإيمان كل لا يتجزأ إذا ذهب بعضه ذهب كله.

فمن زعموا أن الإيمان شيء واحد وهو التصديق أو القول والتصديق أو القول، وهذا عندهم شيء واحد لا يتجزأ، فلو زال بعضه لزال كله، فلو زال بعض الإيمان وهو التصديق لصار شكاً وذلك كفر.

وكذلك قال المعتزلة والخوارج أن الإيمان كل لا يتجزأ فهو قول واعتقاد وعمل، ولو زال جزء منه سواء من القول أو الاعتقاد أو العمل زال المسمى كله فلا يسمى إيماناً، وإنما يسمى كفراً، كما هو عند الخوارج، أو منزلة بين المنزلتين كما هو عند المعتزلة.

والحق خلاف قولهم جميعا، فإن الإيمان مركب من ثلاثة أشياء، وهو القول والاعتقاد والعمل، وزوال جزء منه لا يزيل مسماه ما لم يكن في ذلك الجزء هو الأصل الذي يبنى عليه الدين كله. وذلك مثل الشجرة فإنها مكونة من جذور وساق وأغصان أوراق فلو زال جزء من الأغصان أو الأوراق فإنها تبقى على اسمها ولا يزول عنها الاسم بزوال الجزء، ولكنها توصف بالنقص.

وكذلك سائر المركبات من المكيلات والموزونات لو زال منها جزء فإنها لا تفقد مسماها، وإنما تفقد كمالها، فكذلك الإيمان زوال جزء منه لا يزيل مسماه، وإنما يزيل عنه وصف الكمال فقط. والله أعلم.

الدرس الرابع: قواعد عامة في مسألة التكفير

العنصر الأول: حصول الحصانة بالإسلام

العنصر الثاني: أن من مات على التوحيد استحق عند الله أمرين

العنصر الثالث: الإقرار بالشهادتين، يقتضي الالتزام بجميع أحكام الإسلام

العنصر الرابع: المعاصي لا تهدم الإيمان

العنصر الأول: حصول الحصانة بالإسلام:

التكفير هو الحكم على الإنســـان بالكفر، وهذا الحكم خطير لخطورة آثاره، ولذلك نهى الإ سلام عن التعجيل به وعن تقريره إلا بعد التأكد من وجود أ سبابه تأكدًا ليس به أدنى شبهة.

وقد نبه العلماء إلى جملة أمور عند ذكرهم لهذه المســـألة يجدر لطالب علم أن يتنبه لها قبل الدخول في لب المسألة. ومن ذلك:

أن كل من ثبت له عقد الإسلام ونطق بالشهادتين فإن ذلك يوجب له حَصانة يترتب عليها حفظ الضرورات الخمس: وهي الدين والنفس والعقل والعرض والمال، ولا يمكن لأحد أن ينزع عنه هذه الحصانة إلا وفق ضوابط وشروط. فالإنسان يدخل الإسلام بالشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فمن أقر بالشهادتين بلسانه فقد دخل في الإسلام، وأجريت عليه أحكام المسلمين، وإن كان كافرًا بقلبه، **لأنا أمرنا أن نحكم بالظاهر**، وأن نكل إلى الله السرائر.

الأدلة على ذلك:

1- أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يقبل الإسلام ممن أقر بالشهادتين، ولا ينتظر حتى يأتي وقت الصلاة، أو حول الزكاة، أو شهر رمضان ... مثلاً . حتى يؤدي هذه الفرائض، ثم يحكم له بالإسلام. ويكتفي منه بالإيمان بها، وألا يظهر منه إنكارها.

2- حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما عند البخاري وغيره: أنه قتل رجلاً شهر عليه السيف فقال: " لا إله إلا الله " فأنكر عليه النبي – صلى الله عليه وسلم – أشد الإنكار، وقال: أقتلته بعدما قال: " لا إله إلا الله " ؟ فقال: إنما قالها تعوذًا من السيف ؟ فقال: هلا شققت عن قلبه ؟ ! وفي بعض الروايات: كيف لك بـــ " لا إله إلا الله " يوم القيامة ؟.

3- حديث أبي هريرة: " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله " متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، ويؤمنوا بي وما جئت به.

وفي البخاري عن أنس مرفوعًا: حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله.

والمراد بـــ " الناس " في الحديث مشركو العرب. كما قال العلماء، وكما فسره أنس في حديثه، لأن أهل الكتاب يقبل منهم الجزية بنص القرآن.

والشاهد هنا: إنهم إذا قالوا لا إله إلا الله، دخلوا بها في الإسلام، بدليل عصمة دمائهم وأموالهم، لأن العصمة إما بالإسلام أو بالعهد والذمة، ولا عهد ولا ذمة هنا، فلم يبق إلا الإسلام.

وقد صح هذا الحديث عن عدد من الصحابة بألفاظ متقاربة. ولهذا قال الحافظ السيوطي في " الجامع الصغير ": هو حديث متواتر. قال شارحه المناوي: لأنه رواه خمسة عشر صحابيًا.

وقد روى عن سفيان بن عيينة -أحد أئمة الحديث في زمنه -أنه قال: كان هذا في أول الإسلام قبل فرض الصلاة والصيام والزكاة والهجرة.

وعقب العلامة ابن رجب الحنبلي في كتابه " جامع العلوم والحكم " على هذا بقوله: وهذا ضعيف جدًا، وفي صحته عن سفيان نظر. فإن رواة هذه الأحاديث إنما صحبوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم -في المدينة، وبعضهم تأخر إسلامه.

ثم قوله: عصموا مني دماءهم وأموالهم، يدل على أنه كان عند هذا القول مأمورًا بالقتال، وهذا كله بعد هجرته إلى المدينة.

قال: ومن المعلوم بالضرورة: أن النبي -صلى الله عليه وسلم -كان يقبل من كل من جاء يريد الدخول في الإسلام، الشهادتين فقط، ويعصم دمه بذلك، ويجعله مسلمًا. فقد أنكر على أسامة بن زيد قتله لمن قال: " لا إله إلا الله " لما رفع عليه السيف، واشتد نكيره عليه، و لم

يكن النبي –صلى الله عليه وسلم –يشترط على من جاءه يريد الإسلام أن يلتزم الصلاة والزكاة، بل قد روي أنه قبل من قوم الإسلام واشترطوا ألا يزكوا.

ففي مسند الإمام أحمد عن جابر رضي الله عنه قال: اشترطت ثقيف على رسول الله –صلى الله عليه وسلم –: أن لا صدقة عليهم ولا جهاد، وأن رسول الله –صلى الله عليه وسلم – قال: سيتصدقون، ويجاهدون.

وفيه أيضًا عن نصر بن عاصم الليثي عن رجل منهم أتى النبي –صلى الله عليه وسلم –فأسلم على ألا يصلي إلا صلاتين، فقبل منه.

قال ابن رجب: وأخذ الإمام أحمد بهذه الأحاديث وقال: يصح الإسلام على الشرط الفاسد، ثم يلزم بشرائع الإسلام كلها.

واستدلوا أيضًا بأن حكيم بن حزام قال: بايعت النبي –صلى الله عليه وسلم –على ألا أخر إلا قائمًا.

قال أحمد: معناه أن يسجد من غير ركوع. ا هـــ . كلام ابن رجب والذي يهمنا من هذه النقول أمران:

الأول: أن الدخول في الإسلام إنما يكون بالشهادتين، وإذا اقتصر في بعض الأحاديث على شهادة التوحيد فهو من باب الاكتفاء أو الاختصار من بعض الرواة. وإما لأن مشركي العرب المقصودين بكلمة " الناس " في الحديث، لم يكونوا ليقروا بشهادة التوحيد إلا إذا شهدوا لمن جاء بها، ودعا إليها، وهو محمد رسول الله.

ولهذا جاء عن بعض السلف: الإسلام الكلمة. يعني: كلمة الشهادة.

وأما الصلاة والصيام وسائر شرائع الإسلام وفرائضه فإنما يطالب بها بعد أن يصبح مسلمًا إذ هي لا تصح ولا تقبل إلا من مسلم. أما الكافر فلا صلاة له ولا صيام ولا حج .. إلخ .. لفقدانه شرط القبول ... وهو الإسلام.

والثاني: ما دلت عليه الأحاديث الأخيرة التي ذكرها ابن رجب، والتي رواها إمام السنة أحمد بن حنبل من المرونة وسعة الأفق، التي كان يعالج بها النبي –صلى الله عليه وسلم – الأمور، ويواجه بها المواقف . وخصوصًا مع الداخلين في الإسلام.

فقد قبل من بعضهم ما رفضه من غيرهم. فقد جاء عن بشير بن الخصاصية أنه أراد أن يبايع النبي – صلى الله عليه وسلم – على الإسلام دون أن يتصدق أو يجاهد، فكف يده عنه وقال: يا بشير، لا جهاد ولا صدقة ! فبم تدخل الجنة إذن ؟ !.

ولكنه قبل هذا من ثقيف، لعلمه بأنهم لن يجمدوا على هذا الموقف، وأنهم إذا حسن إسلامهم سيصنعون ما يصنع سائر المسلمين، ولهذا قال في ثقة عنهم: سيتصدقون ويجاهدون.

من مات على التوحيد استوجب الجنة.

العنصر الثاني: أن من مات على التوحيد (أي على: لا إله إلا الله) استحق عند الله أمرين:

الأول: النجاة من الخلود في النار، وإن اقترف من المعاصي ما اقترف، سواء منها ما يتعلق بحقوق الله كالزنا، أو بحقوق العباد كالسرقة. وإن دخل بذنوبه النار فسيخرج منها لا محالة، ما دام في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان.

والمراد بالنجاة من النار: النجاة من الخلود فيها.

الثاني: دخول الجنة لا محالة، وإن تأخر دخوله، فلم يدخلها مع السابقين: بسبب عذابه في النار لمعاص لم يتب منها، و لم تكفر عنه بسبب من الأسباب.

والمراد بدخول الجنة: دخولها ولو في النهاية، بعد استحقاق العذاب في النار زمنًا ما.

والأدلة على ذلك أحاديث صحاح مشهورة في الصحيحين وغيرهما من دواوين السنة منها:

1– عن عبادة بن الصامت أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم – قال: " من شهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله،

وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من عمل".

2- وعن أبي ذر قال: أتيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال: " ما من عبد قال: لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة ".

3- وقوله صلى الله عليه وسلم: " إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بها وجه الله " أي لم يقلها لمجرد أن يعصم بها دمه وماله كالمنافقين في عهد النبوة.

4- وعن أنس: أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " يخرج من النار من قال: " لا إله إلا الله " وكان في قلبه من الخير ما يزن بُرة (يعني حبة قمح) ".

وهذه الأحاديث كلها متفق عليها في الصحيحين.

5-وفي الصحيحين أيضًا من حديث أبي ذر، أن النبي –صلى الله عليه وسلم – قال: أتاني جبريل فبشّرني: أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة . قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق ".

6-وفي صحيح مسلم من حديث الصنابحي عن عبادة قال: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم –يقول: " من يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، حرم الله عليه النار ".

وغير هذه الأحاديث كثير، ودلالتها صريحة على أن كلمة الشهادة موجبة لدخول الجنة والنجاة من النار.

وإنما قلنا هذا، جمعًا بين هذه الأحاديث وأحاديث أخرى حرمت الجنة، وأوجبت النار على من ارتكب بعض المعاصي .. فلا يجوز أن نضرب النصوص بعضها ببعض.

العنصر الثالث: أن الإنسان بعد أن يدخل في الإسلام بالإقرار بالشهادتين، يصبح -بمقتضى إسلامه -ملتزمًا بجميع أحكام الإسلام، والالتزام يعني الإيمان بعدالتها وقدسيتها، ووجوب الخضوع والتسليم لها، والعمل بموجبها. أعني الأحكام النصية الصريحة الثابتة بالكتاب والسنة.

فليس له خيار تجاهلها بحيث يقبل ويرفض، ويأخذ أو يدع، بل لابد أن ينقاد لها مسلمًا راضيًا، محلاً حلالها، محرمًا حرامها، معتقدًا بوجوب ما أوجبت، واستحباب ما أحبت يقول تعالى: (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرًا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم)، (إنما كان قول المؤمنين إذ دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا: سمعنا وأطعنا)، (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليمًا).

ومن المهم أن نعرف هنا، أن من أحكام الإسلام من الواجبات والمحرمات والعقوبات وغيرها من التشريعات، ما ثبت ثبوتًا قطعيًا، وأصبح من الأحكام اليقينية، التي لا يتطرق إليها ريب ولا شبهة، أنها من دين الله وشرعه، وهي التي يطلق عليها علماء الإسلام اسم " المعلوم من الدين بالضرورة ".

وعلامتها أن الخاصة والعامة يعرفونها، ولا يحتاج إثباتها إلى نظر واستدلال، وذلك مثل فرضية الصلاة والزكاة وغيرها من أركان الإسلام وحرمة القتل والزنا وأكل الربا وشرب الخمر ونحوها من الكبائر، ومثل الأحكام القطعية في الزواج والطلاق والميراث والحدود والقصاص وما شابهها.

فمن أنكر شيئًا من هذه الأحكام " المعلومة من الدين بالضرورة " أو استخف بها واستهزأ فقد كفر كفرًا صريحا، وحكم عليه بالردة عن الإسلام. وذلك أن هذه الأحكام نطقت بها

الآيات الصريحة، وتواترت بها الأحاديث الصحيحة، وأجمعت عليها الأمة جيلاً بعد جيل، فمن كذب بها فقد كذب نص القرآن والسنة. وهذا كفر.

ولم يستثن من ذلك إلا من كان حديث عهد بالإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة عن أمصار المسلمين ومظان العلم، فهذا يعذر إذا أنكر هذه الضروريات الدينية، حتى يعلم ويفقه في دين الله، فيجرى عليه بعد ذلك ما يجرى على سائر المسلمين.

كبائر المعاصي تنقص الإيمان ولكنها لا تهدمه.

العنصر الرابع: المعاصي لا تهدم الإيمان:

أن المعاصي والكبائر –وإن أصر عليها صاحبها ولم يتب منها – تخدش الإيمان وتنقصه، ولكنها لا تنقضه من أساسه، ولا تنفيه بالكلية .

والأدلة على ذلك ما يأتي:

1- **إنها لو كانت تهدم الإيمان من أصله، وتخرج صاحبها إلى الكفر المطلق، لكانت المعصية والردة شيئًا واحدًا،** وكان العاصي مرتدًا، ووجب أن يعاقب عقوبة المرتد، ولم تتنوع عقوبات الزاني والسارق وقاطع الطريق وشارب الخمر والقاتل . وهذا مرفوض بالنص والإجماع.

2- **إن القرآن نص على إخوة القاتل لأولياء المقتول في آية القصاص** حين قال: (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى: الحر بالحر، والعبد بالعبد، والأنثى بالأنثى، فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان).

3- **إن القرآن أثبت الإيمان للطائفتين المقتتلتين** في قوله تعالى: (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ... – إلى أن قال – ... إنما المؤمنون إخوة، فأصلحوا بين أخويكم) فأثبت لهم الإيمان والأخوة الدينية مع وجود الاقتتال، ومع قوله – صلى الله عليه وسلم – في الحديث الصحيح: " لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم وجوه بعض " وقوله: " إذا التقى المسلمان بسيفيهما

فالقاتل والمقتول في النار " وبهذا الحديث الأخير استدل البخاري – فيما استدل – بأن المعاصي لا يكفر صاحبها، لأن الرسول سماهما مسلمين مع توعدهما بالنار.

والمراد: إذا كان الاقتتال بغير تأويل سائغ.

4- **قصة حاطب بن أبي بلتعة:** إن حاطب بن أبي بلتعة أراد نقل أخبار الرسول وتحركات جيشه إلى قريش قبيل فتح مكة، مع حرص الرسول – صلى الله عليه وسلم – على كتمان ذلك عنهم . وقال له عمر: دعني يا رسول الله أضرب عنقه فقد نافق. واعتذر الرسول – صلى الله عليه وسلم – بأنه من أهل بدر، ولم يعتبر عمله ناقلاً له من الإيمان إلى الكفر . ونزل القرآن يؤكد ذلك حيث نزل في شأنه أول سورة الممتحنة (يا أيها **الذين آمنوا** لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق) – إلى أن قال – (تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم).

فخاطبه الله فيمن خاطب بعنوان الإيمان، وجعل عدوه سبحانه وعدوهم واحدًا، مع قوله: (تلقون إليهم بالمودة).

5- وقريب من ذلك ما نزل في شأن الذين قذفوا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ومنهم مسطح بن أثاثة، وكان من أهل بدر . وكان أبو بكر حلف ألا يصله، فأنزل الله في شأنه (ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله، وليعفوا وليصفحوا، ألا تحبون أن يغفر الله لكم، والله غفور رحيم).

وإن قيل: إن مسطحًا وأمثاله تابوا، لكن الله لم يشترط –في الأمر بالعفو عنهم والصفح والإحسان إليهم –التوبة. كما قال ابن تيمية رحمة الله.

6- **قصة شارب الخمر**: ما رواه البخاري من حديث أبي هريرة في قصة شارب الخمر، الذي أمر النبي – صلى الله عليه وسلم – بضربه فضربوه، فلما انصرف، قال بعض القوم: أخزاك الله . فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: "لا تكونوا هكذا، لا تعينوا عليه الشيطان" وفي

رواية أخرى للبخاري: " لا تكونوا عون الشطان على أخيكم " وفي سنن أبي داود في هذه القصة زيادة: " ولكن قولوا: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه ".

فهذه هي نظرة الإسلام إلى شارب أم الخبائث، فهو يأمر بضربه، ولكنه لا يرضى بلعنه وطرده من رحمة الله، ولا إخراجه من نطاق المؤمنين، بل يثبت الأخوة بينه وبينهم، وينهاهم أن يفتحوا ثغرة للشيطان إلى قلبه إذا سبوه وأذلوه علانية، بل يأمرهم أن يدعوا له بالمغفرة والرحمة، ويشعروه بالأخوة والمحبة، والحرص على هدايته، فعسى أن يرده ذلك عن غوايته.

7- وأكثر من ذلك ما رواه البخاري أيضًا عن عمر بن الخطاب: أن رجلاً على عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – كان اسمه عبد الله، وكان يلقب (حمارًا) وكان يضحك رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد جلده في الشراب، فأتى به يومًا، فأمر به فجلد . فقال رجل من القوم: اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتى به! فقال النبي –صلى الله عليه وسلم –: لا تلعنوه فوالله ما علمت أنه لا يحب الله ورسوله " وفي بعض روايات الحديث: " لقد علمت أنه يحب الله ورسوله " وفي بعضها " ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله ".

فهذا مع إدمانه الشرب، وإصراره عليه، وإنكاره منه، حتى نقل ابن حجر في الفتح عن ابن عبد البر أنه ضرب خمسين مرة، ينهى النبي عن لعنه، ويقرر أنه يحب الله ورسوله.

يقول الحافظ بن حجر في بيان فوائد هذا الحديث في " الفتح ":

(أ) فيه الرد على من زعم أن مرتكب الكبيرة كافر، لثبوت النهي عن لعنه، والأمر بالدعاء له.

(ب) وفيه أن لا تنافي بين ارتكاب النهي وثبوت محبة الله ورسوله في قلب المرتكب، لأنه – صلى الله عليه وسلم – أخبر بأن المذكور يحب الله ورسوله، مع وجود ما صدر عنه.

(جـ) وأن من تكررت منه المعصية لا تنزع منه محبة الله ورسوله.

(د) ويؤخذ منه تأكيد ما تقدم أن نفي الإيمان – عن شارب الخمر – (أي في حديث: لا يشرب الخمر وهو مؤمن) – لا يراد به زواله بالكلية، بل نفى كماله . ا هـــ من فتح الباري.

8- الأحاديث السابقة التي أوجبت لمن قال: " لا إله إلا الله " الجنة وإن زنى وإن سرق.

9- ما صح واستفاض عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه سيشفع لأهل الكبائر من أمته . وهذا يدل على حكمين كبيرين:

أولهما: أنه لم يخرجهم باقتراف الكبيرة عن حظيرة أمته.

والثاني: أن الله سيرحمهم بهذه الشفاعة، إما بإعفائهم من دخول النار أصلاً، وإن استوجبوها بذنوبهم. وإما بإخراجهم منها بعد أن دخلوها وعذبوا فيها زمنًا فهم غير مخلدين في النار قطعًا. ما عدا الشرك تحت إمكان المغفرة.

الدرس الخامس: تابع قواعد عامة في مسألة التكفير

العنصر الأول: إمكانية مغفرة جميع الذنوب إلا الشرك

العنصر الثاني: انقسام الكفر الوارد في النصوص إلى أكبر وأصغر

العنصر الثالث: اجتماع بعض شعب الإيمان مع شعب الكفر أو النفاق أو الجاهلية

العنصر الرابع: تفاوت مراتب الأمة في الطاعة

العنصر الخامس: الحكم بالتكفير أحكام شرعية يسند له الولاية في القضاء

العنصر الأول: إمكانية مغفرة جميع الذنوب إلا الشرك:

وهي تأكيد للنقطة السابقة –أن الذنب الذي لا يغفر هو الشرك بالله تعالى –إذا مات عليه صاحبه–، وما عداه من الذنوب –صغرت أو كبرت –فهو في مشيئة الله تعالى، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه.

قال تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيدًا).

والمراد بالشرك في الآية وأمثالها: الشرك الأكبر، وهو اتخاذ إله أو آلهة مع الله تعالى وهو المراد بهذا اللفظ عند الإطلاق.

ومثله الكفر الأكبر: أعني كفر الجحود والإنكار.

قال الحافظ ابن حجر: لأن من جحد نبوة محمد –صلى الله عليه وسلم –مثلاً، كان كافرًا ولو لم يجعل مع الله إلهًا آخر، والمغفرة منتفية عنه بلا خلاف أما المعاصي الأخرى دون الكفر أو الشرك، فهي تحت سلطان المشيئة الإلهية. من شاء غفر له، ومن شاء عاقبه، كما ذكرت الآيتان السابقتان " ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ".

قال الإمام ابن تيمية: ولا يجوز أن يحمل هذا على التائب، بأن التائب لا فرق في حقه بين الشرك وغيره كما قال سبحانه في الآية الأخرى: (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعًا) . فهنا عمم وأطلق، لأن المراد به التائب، وهناك خص وعلق.

وقد جاء الحديث الصحيح يؤيد مضمون الآية الكريمة في أن ما عدا الشرك من المعاصي موكول إلى المشيئة الإلهية.

ففي حديث عبادة بن الصامت عند البخاري، أن النبي –صلى الله عليه وسلم –قال: وحوله عصابة من أصحابه: " بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا ولا تزنوا، ولا تقتلوا

أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف. فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره الله، فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه ".

والحديث واضح الدلالة على أن ارتكاب الموبقات التي اشتملت البيعة على اجتنابها لا يخرج صاحبها من الإسلام، بل من عوقب عليها كانت العقوبة طهارة وكفارة له، وإلا فهو في المشيئة.

يقول العلامة المازري: في الحديث رد على الخوارج الذين يكفرون بالذنوب، ورد على المعتزلة الذين يوجبون تعذيب الفاسق إذا مات بلا توبة، لأن النبي –صلى الله عليه وسلم –أخبر بأنه تحت المشيئة و لم يقل: لابد أن يعذبه.

وقال الطيبي: " فيه الإشارة إلى الكف على الشهادة بالنار على أحد إلا من ورد النص فيه بعينه.

العنصر الثاني: انقسام الكفر الوارد في النصوص إلى أكبر وأصغر.

أن الكفر في لغة القرآن والسنة، قد يراد به الكفر الأكبر، وهو الذي يخرج الإنسان من الملة، بالنسبة لأحكام الدنيا، ويوجب له الخلود في النار بالنسبة لأحكام الآخرة.

وقد يراد به الكفر الأصغر، وهو الذي يوجب لصاحبه الوعيد دون الخلود في النار، ولا ينقل صاحبه من ملة الإسلام . إنما يدمغه بالفسوق أو العصيان.

فالكفر بالمعنى الأول، هو الإنكار أو الجحود المتعمد لما جاء به محمد – صلى الله عليه وسلم – أو بعض ما جاء به، مما علم من دينه بالضرورة.

والكفر بالمعنى الثاني، يشمَل المعاصي التي يخالف بها أمر الله تعالى، أو يرتكب بها ما نهى عنه . وفيه جاءت أحاديث كثيرة، مثل: " من حلف بغير الله فقد كفر " أو " فقد أشرك "، " سباب المسلم فسوق وقتاله كفر "، " لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض

"، " لا ترغبوا عن آبائكم فإن كفرا بكم أن ترغبوا عن آبائكم "، " من قال لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما ".

وإنما قلنا: إن الكفر الوارد في هذه النصوص وأمثالها ليس كفرًا ناقلاً عن الملة، لأدلة أخرى. فقد تقاتل الصحابة، و لم يكفر بعضهم بعضًا بذلك.

والمنقول عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب يقينًا: إنه لم يكفر من قاتله في معركة الجمل، أو صفين، وإنما اعتبرهم بغاة . وقد صح الحديث: أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال لعمار: تقتلك الفئة الباغية ... كما صح الحديث في الخوارج أنهم " تقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق " وقد قاتلهم علي رضي الله عنه ومن معه.

كما أثبت القرآن إيمان الطائفتين المقتتلتين (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) وكما أثبت الأخوة الدينية بينهم (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم).

ومثل ذلك، حديث: " من قال لأخيه يا كافر " فقد أثبت الأخوة بينهما، وهي لا تثبت بين مسلم وكافر، فدل ذلك على أنه لم يخرج من دائرة الإسلام بقوله.

ومثل ذلك قوله: " من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك " أو " من أتى عرافًا أو كاهنًا فصدقه بما يقوله فقد كفر بما أنزل الله على محمد " ونحوها.

فلم يعتبره أحد من علماء المسلمين طوال القرون الماضية كفرًا مخرجًا من الملة، وردة عن الإسلام.

وما زال الناس في مختلف الأزمنة يحلفون بغير الله، ويصدقون العرافين والكهان، فينكر أهل العلم والدين عليهم ويضللونهم أو يفسقونهم، ولكن لم يحكموا بردتهم، ولا فرقوا بينهم وبين نسائهم، ولا أمروا بعدم الصلاة عليهم عند موتهم، أو بعدم دفنهم في مقابر المسلمين. وقد جاء الحديث المرفوع: أن هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة.

ولهذا ذكر ابن القيم عددًا من الأحاديث التي أطلقت الكفر على بعض المعاصي ثم قال:.

" والقصد: أن المعاصي كلها من نوع الكفر الأصغر، فإنها ضد الشكر، الذي هو العمل بالطاعة، فالسعي إما شكر وإما كفر، وإما ثالث لا من هذا ولا من هذا ".

فالكفر بالمعنى الأول – أعني الكفر الأكبر – يقابله الإيمان . يقال: مؤمن وكافر . كما في مثل قوله تعالى: (فمنهم من آمن ومنهم من كفر) وقوله تعالى: (الله وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور، والذين كفروا أوليائهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات)، (كيف يهدي الله قومًا كفروا بعد إيمانهم).

أما الكفر بالمعنى الثاني – أعني الكفر الأصغر – فيقابله: الشكر، فالإنسان إما شاكر للنعمة، أو كافر بها، غير قائم بحقها، وإن لم يكفر بمنعها: قال تعالى في وصف الإنسان: (إنّا هديناه السبيل إما شاكرًا وإما كفورًا) وقال: "فمن شكر فإنما يشكر لنفسه، ومن كفر فإن ربي غني كريم".

وجاء في صحيح البخاري حديث ذكر فيه سبب دخول النساء النار: إنهن يكفرن! قيل: يا رسول الله: يكفرن بالله؟ قال: " يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان ".

ولهذا لما نقل الحافظ ابن حجر عن القرطبي قوله: حيث جاء الكفر في لسان الشارع فهو جَحد المعلوم من دين الإسلام بالضرورة الشرعية.

عقَّب عليه بقوله: وقد ورد الكفر في الشرع بمعنى جحد النعم، وترك شكر المنعم، والقيام بحقه، كما تقدم تقريره في كتاب " الإيمان " في باب " كفر دون كفر " في حديث أبي سعيد " يكفرن الإحسان ... إلخ.

وذلك أن الإمام البخاري رضي الله عنه وضع في كتاب الإيمان عدة أبواب للرد على الخوارج الذين يكفرون المسلمين باقتراف الكبائر . منها: باب " كفران العشير، وكفر دون كفر ".

وعبارة " كفر دون كفر " هذه وردت عن ابن عباس وبعض التابعين في تفسير قوله تعالى: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون).

وهذا يدلنا على أن تقسيم الكفر إلى درجات متفاوتة بين أكبر وأصغر، تقسيم مأثور عن سلف الأمة.

وهذا التقسيم نفسه يجرى في الشرك وفي النفاق وفي الفسق وفي الظلم . فكل منها ينقسم إلى الأكبر الذي يوجب التخليد في النار، والأصغر الذي لا يوجب ذلك، ولا ينقل عن الملة.

وقد ذكر البخاري في صحيحه " باب: ظلم دون ظلم " واستدل بحديث ابن مسعود لما نزلت آية الأنعام (الذين آمنوا و لم يلبسوا إيمانهم بظلم، أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) قال الصحابة: يا رسول الله، وأينا لم يظلم نفسه ؟ قال: ليس كما تقولون: لم يلبسوا إيمانهم بظلم: بشرك . أو لم تسمعوا إلى قوله تعالى: (إن الشرك لظلم عظيم).

ووجه الدلالة من الحديث على ما أراده البخاري: أن الصحابة فهموا من قوله " بظلم " عموم أنواع المعاصي، و لم ينكر عليهم النبي – صلى الله عليه وسلم – ذلك، وإنما بين لهم أن المراد: أعظم أنواع الظلم وهو الشرك، فدلّ على أن الظلم مراتب متفاوتة.

العنصر الثالث: اجتماع بعض شعب الإيمان مع شعب الكفر أو النفاق أو الجاهلية:

إن الإيمان قد يجمع شعبة أو أكثر للكفر أو الجاهلية أو النفاق.

وهذه الحقيقة قد خفيت على كثيرين في القديم والحديث، فحسبوا أن المرء إما أن يكون مؤمنًا خالصًا أو كافرًا خالصًا، ولا واسطة بينهما، إما مخلصًا محضًا أو منافقًا محضًا. وقريب منه من يقول: إما مسلم محض أو جاهلي. ولا ثالث لهذين الصنفين.

وهذه طريقة كثير من الناس. حيث يركزون النظر على الأطراف المتقابلة دون الالتفات إلى الأوساط. فالشيء عندهم إما أبيض فقط أو أسود فقط، ناسين أن هناك من الألوان ما ليس بأبيض ولا أسود ولا بأسود خالص، بل بين بين.

ولا عجب أن نجد فئة من الناس، إذا وجدت فردًا أو مجتمعًا لا يتحقق فيه صفات الإيمان الكامل، بل توجد فيه بعض خصائص النفاق، أو شعب الكفر، أو أخلاق الجاهلية، سارعت إلى الحكم عليه بالكفر المطلق، أو النفاق الأكبر، أو الجاهلية المكفرة، لاعتقادهم أن الإيمان لا يجامع شيئًا من الكفر أو النفاق بحال. وأن الإسلام والجاهلية ضدان لا يجتمعان.

وهذا صحيح إذا نظرنا إلى الإيمان المطلق (أي الكامل) والكفر المطلق، وكذلك الإسلام والجاهلية والنفاق.

أما مطلق إيمان وكفر، أو مطلق إيمان ونفاق، أو مطلق إسلام وجاهلية، فقد يجتمعان كما دلت على ذلك (النصوص) وأقوال السلف رضي الله عنهم.

ففي الصحيح: أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال لأبي ذر رضي الله عنه: " إنك امرؤ فيك جاهلية " ! وهذا وهو أبو ذر في سابقته وصدقه وجهاده.

وفيه: " من مات و لم يغز و لم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق ".

وروى أبو داود عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: " القلوب أربعة: قلب أغلف، فذلك قلب الكافر، وقلب مصفح وذلك قلب المنافق، وقلب أجرد، فيه سِراج يُزهر، فذلك قلب المؤمن، وقلب فيه إيمان ونفاق، فمثل الإيمان فيه كمثل شجرة يمدها ماء طيب، ومثل النفاق مثل قرحة يمدها قيح ودم، فأيهما غلب عليه غلب ".

وقد روي مرفوعًا، وهو في مسند أحمد مرفوعًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وهذا الذي قاله حذيفة يدل عليه قوله تعالى: (هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان) فقد كان قبل ذلك فيهم نفاق مغلوب، فلما كان يوم أحد، غلب نفاقهم، فصاروا إلى الكفر أقرب.

" وروى عبد الله بن المبارك بسنده عن علي بن أبي طالب قال:

إن الإيمان يبدو لمظة بيضاء في القلب، فكلما ازداد العبد إيمانًا ازداد القلب بياضًا، حتى إذا استكمل الإيمان ابيَضّ القلب كلّه.

وإن النفاق يبدو لمظة سوداء في القلب، فكلما ازداد العبد نفاقًا ازداد القلب سوادًا، حتى إذا استكمل العبد النفاق اسود القلب. وايم الله لو شققتم عن قلب المؤمن لوجدتموه أبيض، ولو شققتم عن قلب الكافر لوجدتموه أسود ".

وقال ابن مسعود: الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل.

قال شيخ الإسلام: وهذا كثير في كلام السلف: يبينون أن القلب قد يكون فيه إيمان ونفاق. والكتاب والسنة يدلان على ذلك. فإن النبي –صلى الله عليه وسلم –ذكر شعب الإيمان وذكر شعب النفاق، وقال: " من كانت فيه شعبة منهن كانت فيه شعبة من النفاق حتى يدعها " وتلك الشعبة قد يكون معها كثير من شعب الإيمان.

ولهذا قال: " ويخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان " فعلم أن من كان معه من الإيمان أقل القليل لم يخلد في النار، وأن من كان معه كثير من النفاق، فهو يعذب على قدر ما معه من ذلك، ثم يخرج من النار.

وعلى هذا فقوله تعالى للأعراب: (لم تؤمنوا ولكن قولوا: أسلمنا، ولّما يدخل الإيمان في قلوبكم) فقد نفى حقيقة دخول الإيمان في قلوبهم، وذلك لا يمنع أن يكون فيهم شعبة منه، كما نفاه عن الزاني والسارق، ومن لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ومن لا يأمن جاره بَوائقه، وغير ذلك .. فإن في القرآن والحديث من نفى عنه الإيمان لترك بعض الواجبات شيء كثير.

وفي موضع آخر عرض ابن تيمية رحمه الله للأمر فقال: " والمقصود أن خير المؤمنين في أعلى درجات الجنة، والمنافقون في الدرك الأسفل من النار، وإن كانوا في الدنيا مسلمين ظاهرًا، تجرى عليهم أحكام الإسلام الظاهرة. فمن كان فيه إيمان ونفاق يسمى (مسلمًا) إذ ليس هو دون المنافق المحض، وإذا كان نفاقه أغلب لم يستحق اسم الإيمان، بل اسم المنافق أحق به،

فإن ما فيه بياض وسواد، وسواده أكثر من بياضه، هو باسم الأسود أحق منه باسمه الأبيض. كما قال تعالى: (هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان). وأما إذا كان إيمانه أغلب، ومعه نفاق يستحق به الوعيد، لم يكن أيضًا من المؤمنين الموعودين بالجنة (أي مع السابقين) وإن استحقها بإيمانه بعد العذاب إن لم يشفع له أو يعف الله عنه.

قال: وطوائف –من الخوارج والمعتزلة والجهمية والمرجئة –يقولون: إنه لا يجتمع في العبد إيمان ونفاق. ومنهم من يدعي الإجماع على ذلك. ومن هنا غلطوا فيه، وخالفوا فيه الكتاب والسنة وآثار الصحابة، والتابعين لهم بإحسان، مع مخالفة صريح المعقول.

بل الخوارج والمعتزلة طردوا هذا الأصل الفاسد، وقالوا: لا يجتمع في الشخص الواحد طاعة يستحق بها الثواب، ومعصية يستحق بها العقاب.

ولا يكون الشخص الواحد محمودًا من وجه، مذمومًا من وجه، ولا محبوبًا مدعوًا له من وجه، ومسخوطًا ملعونًا من وجه، ولا يتصور أن الشخص الواحد يدخل الجنة والنار جميعًا عندهم، بل من دخل إحداهما لم يدخل الأخرى، ولهذا أنكروا خروج أحد من النار، أو الشفاعة في أحد من أهل النار.

وحكى عن غالية المرجئة: أنهم وافقوهم على هذا الأصل، ولكن هؤلاء قالوا: " إن أهل الكبائر يدخلون الجنة، ولا يدخلون النار " مقابلة لأولئك.

" وأما أهل السنة والجماعة والصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر طوائف المسلمين من أهل الحديث والفقهاء، وأهل الكلام ... فيقولون:

إن الشخص الواحد، قد يعذبه الله بالنار ثم يدخله الجنة، كما نطقت بذلك الأحاديث الصحيحة.

وهذا الشخص الذي له سيئات عذب بها، وله حسنات دخل بها الجنة وله معصية وطاعة باتفاق. فإن هؤلاء الطوائف لم يتنازعوا في حكمه، لكن تنازعوا في اسمه.

فقالت المرجئة: هو مؤمن كامل الإيمان.

وأهل السنة والجماعة على أنه مؤمن ناقص الإيمان. ولولا ذلك لما عذب، كما أنه ناقص البر والتقوى باتفاق المسلمين.

وهل يطلق عليه اسم " مؤمن "؟

هذا فيه القولان ... والصحيح التفصيل.

فإذا سئل عن أحكام الدنيا كعتقه في الكفارة. قيل: هو مؤمن. وكذلك إذا سئل عن دخوله في خطاب المؤمنين أي في مثل قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا).

وأما إذا سئل عن حكمه في الآخرة قيل: ليس هذا النوع من المؤمنين الموعودين بالجنة، بل معه إيمان يمنعه الخلود في النار، ويدخل به الجنة بعد أن يعذب في النار، إن لم يغفر الله له ذنوبه ... لهذا قال من قال: هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، أو مؤمن ناقص الإيمان.

والذين لا يسمونه مؤمنًا من أهل السنة والمعتزلة يقولون: اسم الفسوق ينافي اسم الإيمان لقوله تعالى: (بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان) وقوله: (أفمن كان مؤمنًا كمن كان فاسقًا).

قال: وعلى هذا الأصل، فبعض الناس يكون معه شعبة من شعب الكفر، ومع إيمان أيضًا.

وعلى هذا ورد عن النبي –صلى الله عليه وسلم –في تسمية كثير من الذنوب كفرًا، مع أن صاحبها قد يكون معه أكثر من مثقال ذرة من إيمان، فلا يخلد في النار. كقوله: " سباب المسلم فسوق وقتاله كفر " وقوله: " لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض ".

وهذا مستفيض عن النبي –صلى الله عليه وسلم –في الصحيح من غير وجه، فإنه أمر في حجة الوداع أن ينادي به في الناس. فقد سمى من يضرب بعضهم رقاب بعض –بلا حق –كفارًا، ويسمى هذا الفعل كفرًا. ومع هذا فقد قال تعالى: (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) إلى قوله: (إنما المؤمنون إخوة) فبين أن هؤلاء لم يخرجوا من الإيمان بالكلية، ولكن فيهم ما هو كفر، وهو هذه الخصلة، كما قال بعض الصحابة: كفر دون كفر . وكذلك

قوله: " من قال لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما " فقد سماه أخًا حين القول، وقد أخبر أن أحدهما باء بها، فلو خرج أحدهما عن الإسلام بالكلية لم يكن أخاه، بل فيه كفر " ا هـــ.

العنصر الرابع: تفاوت مراتب الأمة في الطاعة:

وهي تأكيد للنقطة السابعة: أن مراتب الناس متفاوتة في امتثالهم لأمر الله تعالى، واجتنابهم لنهيه.

ولهذا تفاوتت درجات إيمانهم وقربهم من الله عز وجل، ومن هنا قرر سلف الأمة أن الإيمان يزيد وينقص، ودُل على ذلك بالكتاب والسنة، فمن الخطأ الفاحش تصور الناس جميعًا ملائكة أولى أجنحة، بلا أخطاء ولا خطايا، ناسين العنصر الطيني الذي خلقوا منه، والذي يشدهم إلى الأرض لا محالة.

وهذه الحقيقة –حقيقة تفاوت الناس في الإيمان والطاعة لله –قد قررها القرآن الكريم، كما أكدتها سنة رسول الله –صلى الله عليه وسلم –.

قال تعالى في سورة فاطر: (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا، فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله. ذلك هو الفضل الكبير، جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤًا ولباسهم فيها حرير).

فقد قسّم الله عز وجل الأمة التي أورثها الكتاب، واصطفاها من عباده ثلاثة أصناف:

1–ظالم لنفسه، وهو كما قال ابن كثير، المفرط في فعل بعض الواجبات المرتكب بعض المحرمات.

2–ومقتصد، وهو المؤدي للواجبات، التارك للمحرمات، وقد يترك بعض المستحبات، ويفعل بعض المكروهات.

3-وسابق للخيرات، وهو الفاعل للواجبات والمستحبات، التارك للمحرمات والمكروهات، وبعض المباحات.

فهؤلاء الثلاثة على ما في بعضهم من عوج وتقصير وظلم للنفس داخلون في الذين اصطفاهم الله من عباده.

وهؤلاء الأصناف الثلاثة ينطبقون على الطبقات أو المراتب الثلاث المذكورة في حديث جبريل المشهور. وهي: " الإسلام " و" الإيمان " و" الإحسان ".

وأخبر الله تعالى عن هؤلاء الأصناف الثلاثة -وفيهم الظالم لنفسه -بأنهم من أهل الجنة.

وصح عن ابن عباس في تفسير الآية قوله: هم أمة محمد -صلى الله عليه وسلم -ورثهم الله كل كتاب أنزله، فظالمهم يغفر له، ومقتصدهم يحاسب حسابًا يسيرًا، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب.

وليس المراد بـــ " المحرمات " التي يرتكبها الظالم لنفسه " الصغائر " فقط دون " الكبائر " ولا المراد به التائب من جميع الذنوب، لأن هذا وذاك -كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية - يدخل في صنف المقتصد أو السابق " فإنه ليس أحد من بني آدم يخلو عن ذنب. كل من تاب كان مقتصدًا أو سابقًا ".

كذلك من اجتنب الكبائر كفرت عنه السيئات، كما قال تعالى: (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم).

فلابد أن يكون هناك ظالم لنفسه، وموعود بالجنة. ولو بعد عذاب يطهر من الخطايا.

على أن المسلم مهما يكن مقتصدًا أو ظالمًا لنفسه، فعليه أن يكره الكفر والفسوق والعصيان، ولا يرضى بالمنكر الذي تطفح به الحياة من حوله. فإن أدنى درجات الإيمان أن يغير المسلم المنكر بقلبه، أي يكرهه ويتألم له ويسخط عليه، وأرفع من ذلك درجة أن يغيره بلسانه إن استطاع، وأرفع من هذه أن يغيره بيده إن استطاع. وهذا ما جاء به الحديث الصحيح المشهور

على الألسنة " من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فمن لم يستطع فبلسانه، فمن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان".

فإذا كان التغيير بالقلب –بالمفهوم الذي شرحناه –أضعف الإيمان، فمعنى هذا أن من فقد هذه الدرجة –درجة أضعف الإيمان –فقد الإيمان كله، و لم يبق له منه شيء.

وهذا ما صرح به الحديث الآخر الذي رواه مسلم عن ابن مسعود عن النبي –صلى الله عليه وسلم –" ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب، يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم إنه يخلف من بعدهم خلوف، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن. وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل ".

فالحديث الشريف يصرح بأن من لم يجاهد هؤلاء الفسقة والظالمين بقلبه –أي يكره أعمالهم وظلمهم وفسقهم –ليس عنده من الإيمان حبة خردل. وبعبارة أخرى، ليس عنده أقل القليل من الإيمان.

غير أن هذا الأمر مرده إلى ضمير المسلم وقلبه، فهو الذي يستطيع أن يحكم على نفسه أهو راض عن المنكر أم هو ساخط عليه؟ وإن كان راضيًا عن صاحب المنكر: أهو راض عنه لأجل فسقه وظلمه وانحرافه عن شرع الله أم لأجل شيء آخر، مثل مصلحة أصابها منه، أو قرابة بينه وبينه، أو غير ذلك. وإن كان الواجب على المؤمن أن يكون مناط قربه أو بعده من الناس هو مدى اتصالهم بالإسلام أو انفصالهم عنه.

بعد هذا البيان في ضوء ما ذكرناه من قواعد جامعة، ونصوص قاطعة، وأدلة ناصعة، يتبين لكل ذي عينين مدى الخطأ الجسيم، والخطر العظيم، الذي سقط فيه " إخواننا " الذين أسرفوا في " التكفير " حتى غدوا يكفرون الأفراد والمجتمعات بالجملة، معرضين عن كل ما يخالف وجهتهم من نصوص الشرع وأدلته، متذرعين بالتعسف في التأويل، والاستدلال بما ليس

بدليل، مخطئين كل من لا يوافقهم من علماء الأمة وأئمتها في القديم والحديث، زاعمين لأنفسهم أنهم قد بلغوا درجة " الإمامة " والاجتهاد المطلق، وأن لهم أن يخالفوا الأمة كلها وما أجمعت عليه سلفًا وخلفًا . وهذا –والعياذ بالله –من العجب المهلك، والغرور الموبق، والغلو الضار، وليس لهذا مصدر إلا الجهل بالله تعالى، والجهل بالناس، والجهل بالنفس، ورحم الله امرؤا عرف قدر نفسه، وفي الحديث الصحيح: " إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو " وفي حديث آخر: " هلك المتنطعون " – قالها ثلاثًا – ومع هذا كله لا أريد أن أقع فيما وقع فيه هؤلاء الإخوة المسرفون، فأكفرهم كما كفروا الناس، وإن جاءت الأحاديث بتكفير من كفر مسلمًا، لأن هذه الأحاديث فيمن كفر مسلمًا بغير تأويل، وهؤلاء لهم تأويلهم وإن كان مرفوضًا . ولهذا اختلف السلف في تكفير الخوارج، برغم ما ورد في ذمهم من أحاديث مرفوعة صحاح، والثابت عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه لم يكفرهم، و لم يبدأهم بقتال، ولما قيل له: أهم كفار؟ قال: من الكفر فروا !.

العنصر الخامس: يترتّب على الحكم بالتكفير أحكام شرعية لا يمكن لأي أحد أن يخوض فيها إلا من أسند له الولاية في القضاء.

فالحكم بالكفر على إنسان ما، حكم جد خطير، لما يترتب عليه من آثار هي غاية في الخطر، منها:.

1– إنه لا يحل لزوجته البقاء معه، ويجب أن يفرق بينها وبينه ؛ لأن المسلمة لا يصح أن تكون زوجة لكافر بالإجماع المتيقن.

2– إن أولاده لا يجوز أن يبقوا تحت سلطانه، لأنه لا يؤتمن عليهم ويخشى أن يؤثر عليهم بكفره، وبخاصة أن عودهم طريّ . وهم أمانة في عنق المجتمع الإسلامي كله.

3- إنه فقد حق الولاية والنصرة على المجتمع الإسلامي، بعد أن مرق منه وخرج عليه بالكفر الصريح، والردة البواح، ولهذا يجب أن يقاطع، ويفرض عليه حصار أدبي من المجتمع حتى يفيق لنفسه، ويثوب إلى رشده.

4- إنه يجب أن يحاكم أمام القضاء الإسلامي، لينفذ فيه حكم المرتد، بعد أن يستتيبه ويزيل من ذهنه الشبهات، ويقيم عليه الحجة.

5- إنه إذا مات لا تجرى عليه أحكام المسلمين، فلا يغسل ولا يصلي عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين، ولا يورث، كما أنه لا يرث إذا مات مورث له.

6- إنه إذا مات على حاله من الكفر يستوجب لعنة الله وطرده من رحمته، والخلود الأبدي في نار جهنم.

وهذه الأحكام الخطيرة توجب على من يتصدى للحكم بتكفير خلق الله أن يتريث مرات ومرات قبل أن يقول ما يقول.

فمسألة التكفير من أدقّ المسائل وأخطرها وليس لكل أحد من الناس أن يخوض فيها إلا من له قَدَم راسخة في العلم.

الدرس السادس: شروط وموانع تكفير المعين

تمهيد

العنصر الأول: الشرط الأول: التكليف.

العنصر الثاني: المانع الأول: عدم التكليف

تمهيد

لا يحكم على الشخص المعين بالكفر حتى تجتمع فيه جميع شروط التكفير وتنتفي عنه جميع الموانع فيجب التفريق بين التكفير المطلق وبين التكفير المعين أو بين تكفير العمل وبين تكفير العامل فقد يفعل الإنسان عملًا بالاتفاق أنه يكفر به لكن لا نكفر صاحبه (وهو العامل) حتى تتحقق فيه الشروط وتنتفي عنه الموانع.

مثال ذلك: لو أن رجلًا شك في قدرة الله –عز وجل –وقال: أن الله لا يقدر أن يعذبني –تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا –فإن شكه هذا كفر باتفاق أئمة المسلمين فنحن نطلق هذا الحكم ونقول من قال هذا الشيء فإنه يكفر ولكن لا نستطيع أن نكفر شخصًا بعينه إذا وقع في مثل هذا حتى تتحقق فيه الشروط وتنتفي عنه الموانع لأنه قد يكون جاهلًا أو مكرهًا أو غير ذلك من الموانع التي سوف نذكرها.

ويدل على ذلك:

ما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة–رضي الله عنه –في قصة الرجل الذي أسرف على نفسه وأوصى بنيه أنه إذا مات أن يحرقوه ويسحقوه ويذروا نصفه في البر ونصفه في البحر وقال: "والله لئن قدر الله عليّ ليعذبني عذابًا ما عذب به أحد " وهذه المقولة كفر باتفاق أئمة المسلمين لأن فيها شكًا في قدرة الله ومع ذلك غفر الله له كما جاء في آخر الحديث لأنه حمله على قول ذلك الخوف من الله –عز وجل –كما ثبت في آخر الحديث، فدل هذا على أنه بمقولته جاهل فعُذر بالجهل إذ أنه لا يمكن أن يشك في قدرة الله ويخافه في نفس الوقت.

العنصر الأول: الشرط الأول: التكليف.

وحدُّ التكليف الديني في أحكام الشـــريعة مما بســـطه العلماء الفقهاء في كتب الفروع الفقهية، وما قرره الأصـــوليون في كتب الأصـــول في مباحث التكليف والعوارض الإلهية، يتناول جميع الأحكام التكليفية والعقوبات والجزاءات عليها دنيا وأخرى وحدود التكليف يدور على أمرين هما أصلا التكليف:

1 ــ العقل، بأن يكون المكلف عاقلاً مدركاً لأفعاله وأقواله ومحاسب عليها، وهذا يخرج الجنون والإغماء والسفه والسكر في بعض الجوانب الإلهية دون الإتلافات في حقوق الخلق، والأمراض النفـ سية التي لها حكم الجنون كالو سواس القهري وحالات الاكتئاب المتقدمة وانفصام الشخصية...الخ كل هذا ملحق بالجنون بحسب حال صاحبها.

والأصل في هذا قوله تعالى:﴿ يَا **أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ** ﴾[النور: 58].

وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "**رفع القلم عن ثلاثة: عن الصغير حتى يكبر، وعن المجنون حتى يفيق ــ** وفي رواية: **يعقل ــ وعن النائم حتى يستيقظ**".

2ــ البلوغ: وعلاماته في الذكور ثلاثة، وتزيد الإناث بعلامة رابعة:

أ ــ إنزال المني شهوة بلذة للذكر والأنثى.

ب ــ إنبات شعر العانة للذكر والأنثى.

ج ــ بلوغ خمس عشرة سنة للذكر والأنثى، وهو الحد الأعلى للبلوغ.

د ـــ وتزيد المرأة بنزول الحيض عليها.

وعليه فلا بد من شرائط التكفير للمُعيَّن أن يكون مكلفًا أي: بالغاً عاقلاً فيؤاخذ فيما وقع فيه من تكفير، وســـيأتي لهذا مزيد بيان وتمثيل في موانع التكفير إن شـــاء الله. وهذا الحكم المتعلق بالتكليف في البلوغ والعقل تدور عليه أحكام الشـــريعة ولا ســـيما أركان الدين وأ صول الإيمان. فمن وقع في الكفر الأكبر وهو صغير لم يبلغ أو مجنون لم يعقل فلا نكفر عيناً وإنما يحكم على تصرفه بأنه كفر أكبر دون مفـارقة، وهو يُعذر بما يتأدب مثله!

العنصر الثاني: المانع الأول: عدم التكليف:

غير المكلف؛ كالصبي والمجنون إذا وقع في الكفر، لا يقع عليه الكفر؛ وذلك لقوله صلى الله عليه وســـلم: "**رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يســـتيقظ، وعن المبتلى حتى يبرأ، وعن الصغير حتى يكبر** "وفي رواية: "**وعن المجنون حتى يعقل**".

قال ابن المنذر – رحمه الله –: "وأجمعوا أن المجنون إذا ارتد في حال جنونه أنه م سلم على ما كان قبل ذلك".

وقال ابن قدامة في "المغني": "إن الردة لا تصح إلا من عاقل فأما من لا عقل له كالطفل الذي لا عقل له والمجنون، ومن زال عقله بإغماء أو نوم أو مرض أو شرب دواء يباح شربه؛ فلا تصح ردته ولا حكم بكلامه بغير خلاف... ثم نقل كلام ابن المنذر في "الإجماع".

وقال – رحمه الله –: "ولا تصح ردة المجنون ولا إسلامه لأنه لا قول له...".

وقال النووي في "روضة الطالبين": "فلا تصح ردة صبي ولا مجنون، ومن ارتد ثم جن فلا يقتل في جنونه". وبهذا يتبين أن التكليف شرط في تكفير المعين، وعدمه مانع منه.

الدرس السابع: تابع شروط وموانع تكفير المعين (1)

العنصر الأول: الشرط الثاني: الاختيار

العنصر الثاني: المانع الثاني: الإكراه

العنصر الأول: الشرط الثاني: الاختيار

وهو أن يفعل أمراً أو يقوله أو يعتقده بإرادته ورغبته من غير إجبار صحيح معتبر شرعاً عليه.

وضده الإكراه، وهو مانع من موانع التكفير وسيأتي الحديث عنه في العنصر الثاني.

- ومو ضوع الاختيار له علاقة بمسألة القضاء والقدر وأشهر المذاهب فيها ثلاثة، وهي إجمالاً:

1 ــ فمذهب أهل السنة والجماعة على أن العبد المكلف من الجن والإنس مختار لأفعاله ــ يشمل القول والاعتقاد والفعل ــ غير مجبور عليها، وإنما رغَّبته الشريعة بالخير وحثَّته عليه، وحذَّرته من الشر وشيَّنته له، دون إجبار يقع عليه في جميع أعماله.

2ــ ومذهب الجهمية الجبرية: أن العباد مجبورون على أعمالهم غير مختارين لها البتة، بل هم كالريشة في مهب الرياح، وكالميت بين يدي مغسله يقلبه كيفما شاء.

3ــــــ ومذهب المعتزلة القدرية: أن العباد هم الخالقون أفعالهم بقدرتهم، ولا قدرة لله عليها لا إرادةً ولا خلقاً عند عامتهم ــــــ جمهورهم ــــــ ولا علم لله بها ولا كتابة لها في التقدير السابق في اللوح المحفوظ عند غلاتهم.

العنصر الثاني: المانع الثاني: الإكراه

وهو إلزام الغير بما لا يريده ذلك المُلزم، فيفعل أو يقول ما يمليه عليه من ألزمه وأكرهه، ولا بد أن نعلم أن الإكراه يكون بالأقوال، ويكون بالفعل فقط فلا إكراه بالاعتقاد، فربما يُكره

على قول الكفر كما أكره المشركون عماراً رضي الله عنه وغيره على قول الكفر، ويكون الإكراه بالفعل كالسجود لغير الله أو الذبح لغير، قال تعالى: ﴿**مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾[النحل: **106**]، هذا وقد ذكر العلماء شـــروطاً يتحقق بها وجود وصف الإكراه المعتبر شرعاً وهي:

1ـــــ أن يكون المكرَه عاجزاً عن الذب عن نفسه بالمقاومة أو الهرب أو بالاستغاثة ونحو ذلك.

2ـــ أن يغلب على ظن المكرَه وقوع الوعيد، إن لم يفعل ما يطلب منه.

3ـــ أن يكون المكرِه قادراً على تحقيق ما هُدد به، لأن الإكراه لا يتحقق إلا بالقدرة، فإن لم يكن قادرا لم يكن للإكراه اعتبار.

4 ـــ أن يكون التهديد بما يؤدِّي عادة كالقتل والقطع والحبس والضرب ونحو ذلك بما لا طاقة له به وهو المُسمى عند الأصوليين بالإكراه الملجئ!

5ـــ أن يظهر إسلامه وإيمانه إذا زال عنه الإكراه قولاً أو فعلاً.

والإكراه حكمٌ، الأخذ به رخصة: كفعل عمار بن ياسر رضي الله عنهما فقد أخرج الحاكم في مستدركه والبيهقي في الكبرى، عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه قال: أخذ المشركون عمار بن ياسر فلم يتركوه حتى سبَّ النبي صلى الله عليه وسلم وذكر آلهتهم بخير، ثم تركوه فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**ما وراءك؟**"، قال: شر يا رسول الله، ما تُركتُ حتى نلتُ منك وذكرتُ آلهتهم بخير. قال: "**كيف تجد قلبك؟**" قال:

مطمئن بالإيمان. قال: "**إنْ عادوا فعُدْ**"، قال الحاكم: هذا حديث صـــحيح على شـــرط الشيخين و لم يخرجاه.

أما عدم الأخذ به فعزيمة: كما صنع عبد الله بن حذافة الـسهمي ر ضي الله عنه، وهي كما رواها ابن الجوزي، بـ سنده إلى ابن عباس قال: أ سرَتِ الروم عبد الله بن حذافة الـ سهمي صاحب ر سول الله صلى الله عليه و سلم، فقال له الطاغية: تنـ صَّر وإلا ألقيتك في النقرة النحاس، فقال: ما أفعل. فدعا بنقرة من نحاس فمُلئت زيتاً وأُغليت ودعا رجلاً من المسلمين فعرض عليه النصـــرانية فأبى فألقاه في النقرة فإذا عظامه تلوح، فقال لعبد الله ابن حذافة: تنـ صَّرْ وإلا ألقيتك، قال: ما أفعل، فأمر أن يُلقى في النقرة فكتفوه فبكى، فقالوا: قد جزع، قد بكى، قال: ردوه، فقال: لا تظنّن أني بكيت جزعاً؛ ولكن بكيت إذ ليس لي إلا نفسٌ واحدة يُفعل بها هذا في الله عز وجل، كنت أحب أن يكون لي أنفسٌ عدد كلَّ شعرةٍ فيَّ، ثم تُسلط عليَّ فتفعل بي هذا، قال: فأعجبه وأحبَّ أنْ يُطلقه، فقال: قبِّلْ رأسي وأُطلقك، قال: ما أفعل، قال: تنصَّر وأُزوجك ابنتي وأُقاسمك ملكي، قال: ما أفعل، قال: قبِّل رأسي وأُطلق معك ثمانين من الـ سلمين، قال: أما هذا فنعم، فقبل رأ سه فأطلقه وثمانين معه. فلما قدموا على عمر قام إليه عمر فقبَّل رأ سه، وكان أ صحاب ر سول الله صلى الله عليه و سلم يُمازحون عبد الله ويقولون: قبَلْتَ رأسَ عِلْجٍ.

وقال الموفق أبو محمد ابن قدامة: "وروى الأثرم عن أبي عبد الله–يعني الإمام أحمد–أنه سُئل عن الرجل يُؤمر فيعرض على الكفر ويكره عليه، أله أن يرتد؟ فكرهه كراهةً شديدة، وقال: ما يُشبه هذا عندي الذين أُنزلت فيهم الآية من أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم، أولئك كانوا يُرادّون على الكلمة ثم يتركون يعملون ما شاءوا، وهؤلاء يريدونهم على الإقامة على الكفر وترك دينهم"ا.هـــ.

وقال الإمام الشـــافعي – رحمه الله – في "الأم": "ولو أن رجلاً أســـره العدو فأكرهه على الكفر لم تبنْ منه امرأته و لم يحكم عليه بـ شيء من حكم المرتد؛ قد أُكره بعض من أ سلم في عهد النبي صلى الله عليه و سلم على الكفر فقاله، ثم جاء إلى النبي صلى الله عليه و سلم فذكر له ما عذب به؛ فنزل فيه هذا و لم يأمره النبي صلى الله عليه و سلم باجتناب زوجته ولا بشيء مما على المرتد".

قال الإمام البغوي – رحمه الله – في تفـ سيره: "وأجمع العلماء على أن من أكره على كلمة الكفر؛ يجوز له أن يقول بلـ سانه؛ وإذا قال بلـ سانه غير معتقد لا يكون كفراً، وإن أبى أن يقول حتى قتل كان أفضل".

وقال القرطبي – رحمه الله – في تفسيره: "أجمع أهل العلم على أن من أكره على الكفر حتى خـ شي على نفـ سه القتل، أنه لا إثم عليه إن كفر وقلبه مطمئن بالإيمان، ولا تبين منه زوجته ولا يحكم عليه بحكم الكفر، هذا قول مالك والكوفيين والشافعي، غير محمد بن الحسن فإنه قال: إذا أظهر الـ شرك كان مرتدا في الظاهر، وفيما بينه وبين الله تعالى على الإ سلام، وتبين منه امرأته ولا يصلى عليه إن مات، ولا يرث أباه إن مات مسلما.

وهذا قول يرده الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿ **إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن َشرَحَ بِالْكُفْرِ َصدْراً فَعَلَيْهِمْ غَ َضبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾[النحل: 106]. وقال: ﴿ **إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً**﴾[آل عمران: 28]، وقال: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُ سِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُ سْتَ ْضعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيراً**﴾[النساء: 97].

وقال: ﴿**إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً**﴾[النساء: 98].

فعذر الله المستضعفين الذين يمتنعون من ترك ما أمر الله به، والمكره لا يكون إلا مستضعفا غير ممتنع من فعل ما أمر به، قاله البخاري.

وقال ابن القيم – رحمه الله – في "إعلام الموقعين": "والله سبحانه وتعالى رفع المؤاخذة عن المتكلم بكلمة الكفر مكرهاً لّما لم يقصد معناها ولا نواها؛ فكذلك المتكلم بالطلاق والعتاق والوقف واليمين والنذر مكرها لا يلزمه شيء من ذلك؛ لعدم نيته وقصده، وقد أتى باللفظ الصريح؛ فعلم أن اللفظ إنما يوجب معناه لقصد المتكلم به، والله تعالى رفع المؤاخذة عمن حدث نفسه بأمر بغير تلفظ أو عمل، كما رفعها عمن تلفظ باللفظ من غير قصد لمعناه ولا إرادة، ولهذا لا يكفر من جرى على لسانه لفظ الكفر سبقا من غير قصد لفرح أو دهش وغير ذلك، كما في حديث الفرح الإلهي بتوبة العبد، وضـــرب مثل ذلك بمن فقد راحلته عليها طعامه و شرابه في الأرض المهلكة، فأيس منها ثم وجدها فقال: اللهم أنت عبدي وأنا ربك " أخطأ من شدة الفرح "، ولم يؤاخذ بذلك.... ". اهـــ.

قال ابن عثيمين – رحمه الله –: "ومن الموانع أن يقع ما يوجب الكفر أو الفسق بغير إرادة منه، ولذلك صور منها: أن يكره على ذلك فيفعله لداعي الإكراه لا اطمئناناً به، فلا يكفر حينئذ، لقوله تعالى: ﴿**مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾[النحل: 106].

ومنها أن يغلق عليه فكره، فلا يدري ما يقول لشدة فرح أو حزن أو خوف أو نحو ذلك. ودليله ما ثبت في صحيح مسلم عن أنس بن مالك –رضي الله عنه –قال، قال رسول الله،

صلى الله عليه و سلم: "**لله أ شد فرحاً بتوبة عبده حتى يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه و شرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك! أخطأ من شدة الفرح**".

الدرس الثامن: تابع شروط وموانع تكفير المعين (2)

العنصر الأول: الشرط الثالث: قيامة الحجة

العنصر الثاني: المانع الثالث: عدم إقامة الحجة

العنصر الأول: الشرط الثالث: قيامة الحجة

معنى قيام الحجة:

بدعوته إلى الحق بأن تبلغه فلا يكون عنده شيء يقاومها، وإزالة الشبهة إن وُجدت وإبطالها وتبيين ما ألبس عليه .

وقال الإمام الشافعي: "لله أسماء وصفات لا يسع أحداً ردها، ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه فقد كفر، وأما قبل قيام الحجة فإنه يعذر بالجهل، لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل، ولا الرؤية والفكر."

قال الإمام ابن حزم رحمه الله: "وكل ما قلنا فيه إنه يفســـق فاعله أو يكفر بعد قيام الحجة عليه فهو ما لم تقم عليه الحجة معذور مأجور وإن كان مخطئاً، و صفة قيام الحجة عليه هو أن تبلغه فلا يكون عنده شيء يقاومها ."

وقَالَ ابن حزم أيضا: "إِذْ قَالَ الحواريون يَا عِيسَى ابْن مَرْيَم هَل يَسْتَطِيع رَبك أَن ينزل علينا مائدة من الـ سَّمَاء} إِلَى قَوْله {ونعلم إِن قد صدقتنا}، فَهَؤُلَاءِ الحواريون الَّذين أثنى الله عز وَجل عَلَيْهِم قد قَالُوا بِالْجَهْلِ لعيسى عَلَيْهِ السَّلَام هَل يَسْتَطِيع رَبك أَن ينزل علينا مائدة من السَّمَاء وَلم يبطل بذلك إِيمَانهم وَهَذَا مَا لَا مخلص مِنْهُ وَإِنَّمَا كَانُوا يكفرون لَو قَالُوا ذَلِك بعد قيام الْحجَّة وتبيينهم لَهَا."

وقال العلامة ابن بطال رحمه الله: وأما قول البخاري: باب قتال الخوارج بعد إقامة الحجة عليهم فمعناه أنه لا يجب قتال خارجي ولا غيره إلا بعد الإعذار إليه، ودعوته إلى الحق، وتبيين ما ألبس عليه، فإن أبى من الرجوع إلى الحق وجب قتاله بدليل قوله تعالى: {وما كان

الله لي ضل قومًا بعد إذا هداهم حتى يبين لهم ما يتقون} [التوبة: 115] { شرح البخاري لابن بـطال 140/16و به قال {ا لحافظ بن حجر فى الفتح 299/12} وغيره من العلماء.

وقال ابن العربي: "حتى تبين له الحجة التي يكفر تاركها بيانًا واضحًا لا يلتبس على مثله."

قال العلامة محمد بن عبد الهادي الـ سندي رحمه الله: في حا شيته على صحيح البخاري (وقوله: بعد إقامة الحجة عليهم، أي: بإظهار بطلان دلائلهم).

وقال شيخ الإ سلام ابن تيمية: وليس لأحد أن يكفر أحدا من الـ سلمين وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة وتبين له المحجة ومن ثبت إ سلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بالـ شك؛ بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة .

ويقول ابن تيمية رحمه الله: "فتكفير المعين من هؤلاء الجهال وأمثالهم -بحيث يحكم عليه بأنه من الكفار -لا يجوز الإقدام عليه إلا بعد أن تقوم على أحدهم الحجة الرسالية، التي يتبين بها أنهم مخالفون للرسل، وإن كانت هذه المقالة لا ريب أنها كفر، وهكذا الكلام في تكفير جميع المعينين ."

ويقول أيـ ضا: "فقد يكون الفعل أو المقالة كفراً، ويطلق القول بتكفير من قال تلك المقالة، أو فعل ذلك الفعل، ويقال: من قال كذا، فهو كافر، أو من فعل ذلك، فهو كافر.

لكن الشـــخص المعين الذي قال ذلك القول أو فعل ذلك الفعل لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها. وهذا الأمر مطرد في نصـــوص الوعيد عند أهل الســـنة

والجماعة، فلا يـ شهد على معيَّن من أهل القبلة بأنه من أهل النار، لجواز ألا يلحقه الوعيد، لفوات شرط، أو لثبوت مانع."

ويقول ابن القيم: والله يقضي بين عباده يوم القيامة بحكمه وعدله، ولا يعذب إلا من قامت عليه حجته بالرسل، فهذا مقطوع به في جملة الخلق، وأما كون زيد بعينه وعمرو قامت عليه الحجة أم لا، فذلك ما لا يمكن الدخول بين الله وبين عباده فيه، بل الواجب على العبد أن يعتقد أن كل من دان بدين غير دين الإ سلام فهو كافر، وأن الله سبحانه وتعالى لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه بالرســـول، هذا في الجملة، والتعيين موكول إلى علم الله وحكمه، هذا في أحكام الثواب والعقاب."

الأدلة على وجوب قيام الحجة.

أولاً: من القرآن الكريم:

-1قال تعالى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَ سُولًا} (15) الا سراء، ولا يعذب الله أحدًا إلا بعد إقامة الحجة عليه بإرسال الرسل وإنزال الكتب.

-2قال تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضـــِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَـــيْءٍ عَلِيمٌ [التوبة: 115] وما كان الله ليضـــلَّ قومًا بعد أن مَنَّ عليهم بالهداية والتوفيق حتى يبيِّن لهم ما يتقونه به، وما يحتاجون إليه في أ صول الدين وفروعه. إن الله بكل شـــيء عليم، فقد علَّمكم ما لم تكونوا تعلمون، وبيَّن لكم ما به تنتفعون، وأقام الحجة عليكم بإبلاغكم رسالته .

-3قال تعالى: {رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لأَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً} (165) النساء، أرسلْتُ رسلا إلى خَلْقي مُبشِّرين بثوابي، ومنذرين بعقابي; لئلا يكون للبشر حجة يعتذرون بها بعد إرسال الرسل. وكان الله عزيزًا في ملكه، حكيمًا في تدبيره.

ثانيًا: من السنة النبوية:

-1عَنِ الْمُغِيرَةِ قَالَ: قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ لَوْ رَأَيْتُ رَجُلاً مَعَ امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرَ مُصْفَحٍ. فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – فَقَالَ «تَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ، وَاللَّهِ لأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّى، وَمِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللَّهِ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَلاَ أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللَّهِ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ الْمُبَشِّرِينَ وَالْمُنْذِرِينَ وَلاَ أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمِدْحَةُ مِنَ اللَّهِ وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَعَدَ اللَّهُ الْجَنَّةَ». البخاري ومسلم.

قال النووي في شرح مسلم: فالعذر هنا بمعنى الإعذار والإنذار قبل أخذهم بالعقوبة ولهذا بعث المرسلين كما قال سبحانه وتعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا.

-2عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلي الله عليه وسلم أنه قال: {والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار}. رواه مسلم وغيره

والسماع يوضحه شيخ الإسلام بن تيمية بقوله: قد علم أن المراد أنه يسمعه سمعا يتمكن معه من فهم معناه (القرآن) إذ المقصود لا يقوم بمجرد سمع لفظ لا يتمكن معه من فهم

المعنى فلو كان غير عربي وجب أن يترجم له ما يقوم به عليه الحجة ولو كان عربيا، وفي القرآن ألفاظ غريبة ليست لغته وجب أن يبين له معناها، ولو سمع اللفظ كما يسمعه كثير من الناس ولم يفقه المعنى وطلب منا أن نفسره له ونبين له معناه فعلينا ذلك.

وإن سألنا عن سؤال يقدح في القرآن أجبناه عنه كما كان النبي صلى الله عليه و سلم إذا أورد عليه بعض المشركين أو أهل الكتاب أو المسلمين سؤالا يوردونه على القرآن فإنه كان يجيبه عنه كما أجاب ابن الزبعري لما قاس المسيح على آلهة المشركين.

العنصر الثاني: المانع الثالث: عدم قيام الحجة:

قد يكون المانع من تكفير المعين جهله أو خطؤه أو سوء فهمه لكونه لم يسمع تلك النصوص أو سمعها ولم تثبت عنده، أو عارضها عنده معارض آخر أوجب تأويلها، وإن كان مخطئاً، أو لم يعلم كثيرًا مما يبعث الله به رسوله، أو لم يكن هناك من يبلغه ذلك، أو نشأ ببادية بعيدة عن أهل العلم والإيمان، أو كان حديث العهد بالإسلام، أو لم يعلم شرائع الإسلام فاعتقد أن الخمر حلال، وأن ليس على الإنسان صلاة، وهو لم يبلغه حكم الله تعالى.

ويجد المتأمل في أقوال العلماء عند الحديث عن إقامة الحجة أن المانع من إقامة الحجة أمر نسبي يختلف باختلاف:

- الأماكن
- الأزمنة
- الأشخاص

فقد يمنع من قيام الحجة أن يكون الإنسان عاش في بواد بعيدة عن العلم وأهله أو في عصر من عصور الانحطاط وضعف انتشار العلم أو أن الأمر يعود إلى حال الشخص باعتبار التفاوت بين الناس في العلم وطلبه والقدرة على فهمه.

ومن أقوال العلماء في ذلك ما يأتي:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وكثير من الناس قد ينشأ في الأمكنة والأزمنة التي يندرس فيها كثير من علوم النبوات، حتى لا يبقى من يبلغ ما بعث الله به رسوله من الكتاب والحكمة، فلا يعلم كثيرًا مما يبعث الله به رسوله، ولا يكون هناك من يبلغه ذلك، ومثل هذا لا يكفر؛ ولهذا اتفق الأئمة على أن من نشأ ببادية بعيدة عن أهل العلم والإيمان، وكان حديث العهد بالإسلام، فأنكر شيئًا من هذه الأحكام الظاهرة المتواترة. فإنه لا يحكم بكفره حتى يعرف ما جاء به الرسول؛ ولهذا جاء في الحديث «يأتي على الناس زمان لا يعرفون فيه صلاة ولا زكاة ولا صومًا ولا حجًّا؛ إلا الشيخ الكبير، والعجوز الكبيرة، يقول: أدركنا آباءنا وهم يقولون: لا إله إلا الله، وهم لا يدرون صلاة ولا زكاة ولا حجًّا»، فقال: «ولا صوم ينجيهم من النار«

قال ابن القيم: "وأما بأي شيء تقوم الحجة: فهذا يختلف من زمان إلى زمان ومن مكان إلى مكان فما تقوم الحجة في عصور ازدهار العلم غير ما تقوم به في عصور انحطاطه، وما تقوم به في المدن غير ما تقوم به في البوادي البعيدة عن العلم وأهله كما أن الحجة تختلف من شخص إلى آخر بحسب تفاوت الناس في العلم وقدراتهم، فليراع كل ذلك."

يقول ابن حزم أيضا: "ولا خلاف في أن امرءاً لو أ سلم، و لم يعلم شرائع الإ سلام، فاعتقد أن الخمر حلال، وأن ليس على الإنسان صلاة، وهو لم يبلغه حكم الله تعالى لم يكن كافراً بلا خلاف يعتد به، حتى إذا قامت عليه الحجة، فتمادى، حينئذ بإجماع الأمة فهو كافر.

وقال الإمام الشافعي: "لله أسماء وصفات لا يسع أحداً ردها، ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه فقد كفر، وأما قبل قيام الحجة فإنه يعذر بالجهل، لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل، ولا الرؤية والفكر."

وقال ابن العربي المالكي: "الجاهل والمخطئ من هذه الأمة، ولو عمل من الكفر والـ شرك ما يكون صاحبه م شركاً أو كافراً، فإنّه يعذر بالجهل والخطأ حتى تتبيّن له الحجة التي يكفر تاركها بياناً وا ضحاً ما يلتبس على مثله، وينكر ما هو معلوم بالـضرورة من دين الإ سلام، مما أجمعوا عليه إجماعاً قطعيّاً يعرفه كلّ المسلمين من غير نظرٍ وتأمّلٍ."

وقال ابن القيم: "إنَّ العذاب يُستحقُّ بسببين:

أحدهما: الإعراض عن الحجة وعدم إرادتها والعمل بها وبموجبها.

الثاني: العناد لها بعد قيامها وترك إرادة موجبها.

فالأول كفر إعراض، والثاني كفر عناد، وأمَّا كفر الجهل مع عدم قيام الحجة وعدم التمكن من معرفتها، فهذا الذي نفى الله التعذيب عنه حتى تقوم حجة الرسل."

يقول ابن تيمية وهو يعدد بعض موانع لحوق الوعيد بالمعين: "ثم الشخص المعين يلتغي حكم الوعيد فيه بتوبة، أو ح سنات ماحية، أو م صائب مكفرة، أو شفاعة مقبولة، والتكفير هو من الوعيد، فإنه وإن كان القول تكذيباً لما قاله الر سول –صلى الله عليه و سلم –، لكن قد

يكون الرجل حديث عهد بإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة ... وقد يكون الرجل لم يسمع تلك النصوص، أو سمعها ولم تثبت عنده، أو عارضها عنده معارض آخر أوجب تأويلها، وإن كان مخطئاً."

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "ليس كل من تكلم بالكفر يكفر، حتى تقوم عليه الحجة المثبتة لكفره ... فلازم المذهب ليس بمذهب، إلا أن يستلزمه صاحب المذهب، فخلق كثير من الناس ينفون ألفاظاً أو يثبتونها، بل ينفون معاني أو يثبتونها، ويكون ذلك مستلزماً لأمور هي كفر، وهم لا يعلمون بالملازمة، بل يتناقضون، وما أكثر تناقض الناس لا سيما في هذا الباب، وليس التناقض كفراً."

الله يعذر المؤمن بجهله، فلا يؤاخذه لسوء فهمه وخطئه، بل يعذره حتى تقام عليه حجة الله، وأما قبل ذلك فلا يعذب ولا يكفر.

فهذه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها جهلت أمراً لا يسع المؤمن جهله، فأبانه لها رسول الله –صلى الله عليه وسلم –، وما كفرها ولا عاقبها، لأن الجهل عذر يقبله الله، فقد سألت رسول الله فقالت: مهما يكتم الناس يعلمه الله؟ قال: ((نعم)). أخرجه مسلم .

قال ابن تيمية: "وهذا يدل على أنها لم تكن تعلم ذلك، ولم تكن قبل معرفتها بأن الله عالم بكل شيء يكتمه الناس كافرة، وإن كان الإقرار بذلك عند قيام الحجة من أصول الإيمان، وإنكار علمه بكل شيء كإنكار قدرته على كل شيء ... فقد تبين أن هذا القول كفر، ولكن تكفير قائله لا يحكم به حتى يكون قد بلغه من العلم ما تقوم به عليه الحجة التي يكفر تاركها، ودلائل فساد هذا القول كثيرة في الكتاب والسنة."

ويقول أيضاً: "فهذا الرجل اعتقد أن الله لا يقدر على جمعه إذا فعل ذلك، أو شك، وأنه لا يبعثه، وكل هذين الاعتقادين كفر، يكفر من قامت عليه الحجة، لكنه كان يجهل ذلك، ولم يبلغه العلم بما يرده عن جهله، وكان عنده إيمان بالله وبأمره ونهيه ووعده ووعيده، فخاف من عقابه، فغفر الله له بخشيته.

ويقول ابن تيمية: " من دعا غير الله، وحج إلى غير الله هو أيضاً مشرك، والذي فعله كفر، لكن قد لا يكون عالماً بأن هذا شـــرك محرم، كما أن كثيراً من الناس دخلوا في الإســـلام من التتار وغيرهم، وعندهم أصنام لهم، صغار من لبد وغيره، وهم يتقربون إليها ويعظمونها، ولا يعلمون أن ذلك محرم في دين الإسلام، ويتقربون إلى النار أيضاً، ولا يعلمون أن ذلك محرم، فكثير من أنواع الشرك قد يخفى على بعض من دخل في الإسلام ولا يعلم أنه شرك، فهذا ضال، وعمله الذي أشرك فيه باطل، لكن لا يستحق العقوبة حتى تقوم عليه الحجة".

الدرس التاسع: تابع شروط وموانع تكفير المعين (3)

العنصر الأول: الشرط الرابع: أن لا يكون متأولاً تأوّلاً يعذر فيه صاحبه

العنصر الثاني: المانع الرابع: أن يكون متأولاً تأوّلاً يعذر فيه صاحبه

العنصر الأول: الشرط الرابع: أن لا يكون متأولاً تأوّلاً يعذر فيه صاحبه.

أوّلاً: المقصود بالعذر بالتأويل:

والمقصود بالتأويل هنا: التلبس والوقوع في الكفر من غير قصد لذلك، وسببه القصور في فهم الأدلة الشرعية، دون تعمد للمخالفة، بل قد يعتقد أنه على حق.

يقول ابن حجر في تعريفه للتأويل السائغ: (قال العلماء: كل متأول معذور بتأويله ليس بآثم، إذا كان تأويله سائغاً في لسان العرب، وكان له وجه في العلم).

والتأويل السائغ والإعذار به له اعتبار في مسألة التكفير، بل في الوعيد عموماً ولذا يقول ابن تيمية: (إن الأحاديث المتضمنة للوعيد يجب العمل بها في مقتضاها، باعتقاد أن فاعل ذلك الفعل متوعد بذلك الوعيد، لكن لحوق الوعيد له متوقف على شروط، وله موانع).

أقوال العلماء في التفريق بين التأويل الذي يعذر فيه صاحبه والذي لا يعذر فيه صاحبه:

1- ويقرر ابن حزم العذر بمثل هذا التأويل قائلاً: "ومن بلغه الأمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، من طريق ثابتة، وهو مسلم، **فتأول في خلافه إياه**، أو ردّ ما بلغه بنص آخر، فما لم تقم عليه الحجة في خطئه في ترك ما ترك، وفي الأخذ بما أخذ، فهو مأجور معذور، لقصده إلى الحق، وجهله به، وإن قامت عليه الحجة في ذلك، فعاند، فلا تأويل بعد قيام الحجة".

2- وقال ابن تيمية: "وعمل السلف وجمهور الفقهاء بأن ما استباحه أهل البغي من دماء أهل العدل **بتأويل سائغ** لم يضمن بقَود، ولا دية، ولا كفارة، وإن كان قتلهم وقتالهم محرما".

3- ويقول ابن تيمية: "والتكفير هو من الوعيد، فإنه وإن كان القول تكذيباً لما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم، لكن قد يكون الرجل حديث عهد بإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة، ومثل هذا لا يكفر بجحد ما يجحده حتى تقوم عليه الحجة، وقد يكون الرجل لم يسمع تلك النصوص، أو سمعها و لم تثبت عنده، أو عارضها عنده معارض آخر **أوجب تأويلها**، وإن كان مخطئاً".

4- كما يقرر ذلك ابن الوزير حيث يقول: "قوله تعالى في هذه الآية الكريمة: **وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا** [النحل: 106]، ويؤيد أن المتأولين غير كفار؛ لأن صدورهم لم تنشرح بالكفر قطعاً، أو ظناً، أو تجويزًا، أو احتمالاً".

5- ويعلّق الشوكاني على عبارة صاحب كتاب (الأزهار): "والمرتد بأي وجه... كفر "فيقول: أراد المصنف **إدخال كفار التأويل** اصطلاحاً في مسمى الردة، وهذه زلة قدم يقال عندها لليدين وللفم، وعثرة لا تقال، وهفوة لا تغتفر، ولو صح هذا لكان غالب من على ظهر البسيطة من المسلمين مرتدين".

العنصر الثاني: المانع الرابع: أن يكون متأولاً تأوّلاً يعذر فيه صاحبه

يشترط في قبول عذر المتأول الأمور الآتية:

1- أن يكون من أهل عقد الإيمان وثبت له وصف الإسلام بيقين، مؤمنا بالرسول ومعتقدا صدقه في كل ما جاء به.

2- أن لا يكون التأويل فيه تكذيب للدين جملة وتفصيلا، أو تكذيب لأصل لا يقوم الدين إلا به، أو لنص متواتر، أو لأمر معلوم من الدين بالضرورة للجميع.

3- أن يكون قد عمل ذلك أو قاله جهلا أو بغير قصد وليس عن عناد وإصرار وتعمد، أو أن يُعْلم من قرائن أحواله أنه ما قصد التكذيب بأن يظهر عليه التدين والتصديق بجميع الأنبياء والكتب الربانية.

من أقوال العلماء في ذلك ما يأتي:

1- يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي: "إن المتأولين من أهل القبلة الذين ضلوا وأخطأوا في فهم ما جاء في الكتاب والسنة، مع إيمانهم بالرسول واعتقادهم صدقه في كل ما قال، وأن ما قاله كان حقاً والتزموا ذلك، لكنهم أخطأوا في بعض المسائل الخبرية أو العملية، فهؤلاء قد دل الكتاب والسنة على عدم خروجهم من الدين، وعدم الحكم لهم بأحكام الكافرين، وأجمع الصحابة رضي الله عنهم والتابعون ومن بعدهم من أئمة السلف على ذلك".

2- يقول قوام السنة إسماعيل الأصفهاني: "المتأول إذا أخطأ وكان من أهل عقد الإيمان، نظر في تأويله، فإن كان قد تعلق بأمر يفضي به إلى خلاف بعض كتاب الله أو سنة يقطع بها العذر، أو إجماع فإنه يكفر ولا يعذر؛ لأن الشبهة التي يتعلق بها من هذا ضعيفة لا يقوى قوة يعذر بها؛ لأن ما شهد له أصل من هذه الأصول، فإنه في غاية الوضوح والبيان، فلمّا كان صاحب هذه المقالة لا يصعب عليه درك الحق، ولا يغمض عنده بعض موضع الحجة لم يعذر في الذهاب عن الحق، بل عمل خلافه في ذلك على أنه عناد وإصرار، ومن تعمد خلاف أصل من هذه الأصول، وكان جاهلاً لم يقصد إليه من طريق العناد فإنه لا يكفر؛ لأنه لم يقصد اختيار الكفر، ولا رضي به، وقد بلغ جهده، فلم يقع له غيره ذلك، وقد أعلم الله سبحانه أنه لا يؤاخذ إلا بعد البيان، ولا

يعاقب إلا بعد الإنذار فقال تعالى: **وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم ما يَتَّقُونَ** [التوبة: 115]. فكل من هداه الله عز وجل، ودخل في عقد الإسلام، فإنه لا يخرج إلى الكفر إلا بعد البيان).

3- ويقول ابن حزم: "وأما من كان من غير أهل الإسلام من نصراني أو يهودي أو مجوسي، أو سائر الملل، أو الباطنية القائلين بإلهية إنسان من الناس، أو بنوة أحد من الناس، بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا يعذرون بتأويل أصلاً، بل هم كفار مشركون على كل حال".

4- ويذكر أبو حامد الغزالي التأويل الغير سائغ ومثاله فيقول: "ولابد من التنبيه على قاعدة وهو أن المخالف قد يخالف نصاً متواتراً، ويزعم أنه مؤول، مثاله: ما في كلام بعض الباطنية أن الله تعالى واحد بمعنى أنه يعطي الوحدة ويخلقها، وعالم بمعنى أنه يعطى العلم لغيره ويخلقه، وموجود بمعنى أنه يوجد غيره، وأما أن يكون واحداً في نفسه، وموجوداً، وعالماً على معنى اتصافه فلا، وهذا كفر صراح؛ لأن حمل الوحدة على اتحاد الوحدة ليس من التأويل في شيء، ولا تحتمله لغة العرب أصلاً... فأمثلة هذه المقالات تكذيبات عبر عنها بالتأويلات".

5- كما يورد ابن الوزير أمثلة للتأويل المردود، مما لا يمكن أن يكون عذراً لمن تلبس به فيقول: "لا خلاف في كفر من جحد ذلك المعلوم بالضرورة للجميع، وتستر باسم التأويل فيما لا يمكن تأويله، كالملاحدة في تأويل جميع الأسماء الحسنى، بل جميع القرآن والشرائع والمعاد الأخروي من البعث والقيامة والجنة والنار".

6- ويقول السعدي: "... أما التأويلات التي لا يعذر أصحابها، فتأويلات الباطنية والفلاسفة ونحوهم ممن حقيقة أمرهم تكذيب للدين جملة وتفصيلا، أو تكذيب لأصل

لا يقوم الدين إلا به كإنكار الفلاسفة لحشر الأجساد وقولهم إن الله سبحانه لا يعلم الجزئيات، أو تأويل الفرائض والأحكام بما يخرجها عن حقيقتها وظاهرها، أو الاعتقاد بألوهية بعض البشر كتأليه علي أو الحاكم بأمره كما عند النصيرية والدروز، أو القول بتحريف القرآن، أو تأويل جميع الأسماء والصفات أو القول بسقوط التكاليف عن البعض ونحو ذلك من الاعتقادات الغالية التي لا تعتمد على أي مستند نصي أو لغوي ولو من وجه محتمل".

7- يقول ابن الوزير – رحمه الله -: "... وكذلك لا خلاف في كفر من جحد ذلك المعلوم ضرورة للجميع، وتستر باسم التأويل فيما لا يمكن تأويله كالملاحدة في تأويل جميع الأسماء الحسنى بل جميع القرآن والشرائع والمعاد الأخروي من البعث والقيامة والجنة والنار، وإنما يقع الإشكال في تكفير من قام بأركان الإسلام الخمسة المنصوص على إسلام من قام بها إذا خالف المعلوم ضرورة للبعض أو للأكثر لا المعلوم له، وتأول وعلمنا من قرائن أحواله أنه ما قصد التكذيب أو التبس ذلك علينا في حقه وأظهر التدين والتصديق بجميع الأنبياء والكتب الربانية مع الخطأ الفاحش في الاعتقاد، ومضاده الأدلة الجلية، ولكن لم يبلغ مرتبة الزنادقة المقدمة".

الدرس العاشر: حكم مُرتكب الكبيرة.

عناصر الدرس

العنصر الأول: مرتكب الكبيرة عند أهل السنة والجماعة

العنصر الثاني: مرتكب الكبيرة عند الخوارج، والمعتزلة، والمرجئة

العنصر الأول: مرتكب الكبيرة عند أهل السنة والجماعة

يعتقد أهل السنة، والجماعة أن الحكم على عمل من الأعمال سواء ما يتعلق منها بالاعتقاد، أو الأقوال، أو الأعمال التي تقوم بها الجوارح بأنه كفر، أو ليس بكفر باب توقيفي مرجعه السمع لا مجال فيه للاجتهاد، والنظر.

بل هو حق لله، ور سوله ﷺ ليس لأحد في هذا حكم، وإنما الواجب هو التـ سليم لحكم الله، ورسوله يقول القاضي عياض –رحمه الله– في كتابه (الشفاء): فصل في بيان ما هو من المقالات كفر. وما يُتَّفق، أو يختلف فيه، وما ليس بكفر اعلم أن تحقيق هذا الفصل، وكشف اللبس فيه مورده الشرع، ولا مجال للعقل فيه. انتهى كلامه.

ويقول شيخ الإ سلام ابن تيمية –رحمه الله–: إن الكفر، والفسق أحكام شرعية ليس ذلك من الأحكام، التي يـ ستقل بها العقل، فالكافر من جعله الله، ور سوله كافرًا، والفا سق من جعله الله، ورسوله فاسقًا. كما أن المؤمن، والمسلم من جعله الله، ورسوله مؤمنًا، ومسلمًا، فالكفر هو من الأحكام الشرعية، وليس كل من خالف شيئًا علم بنظر العقل يكون كافرًا، ولو قدر أنه جحد بعض صرائح العقول لم يحكم بكفره، حتى يكون قوله كفرًا في الشريعة. انتهى كلامه.

وبهذا يعلم أن معتقد أهل الســـنة، والجماعة في مرتكب الكبيرة منطلق من هذا المنهج البين الواضح المتقيد بكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ.

أولًا: حكم مرتكب الكبيرة عند أهل السنة والجماعة في الدنيا:

يعتقد أهل السنة أن مرتكب الكبيرة مسلم فاسق، لم يخرج بمعصيته من دين الإ سلام وليس هو مؤمنًا كامل الإيمان، بل مؤمن بإيمانه فا سق بكبيرته، يقول الإمام الطحاوي –رحمه الله– واصفًا عقيدة أهل السنة والجماعة: ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله، ولا نقول: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله. انتهى كلامه.

ويقول ابن بطة –رحمه الله–: وقد أجمعت العلماء لا خلاف بينهم أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب، ولا نخرجه من الإ سلام بمعصية نرجو للمحسن، ونخاف على المسيء. انتهى كلامه.

ويقول الإمام الصابوني –رحمه الله–: ويعتقد أهل السنة أن المؤمن، وإن أذنب ذنوبًا كثيرة صغائر، وكبائر فإنه لا يكفر بها، وإن خرج عن الدنيا غير تائب منها، ومات على التوحيد، والإخلاص، فأمره إلى الله. انتهى كلامه.

ويقول شيخ الإ سلام ابن تيمية –رحمه الله– في و صف معتقد أهل السنة: وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر كما يفعله الخوارج، بل الأخوة الإيمانية باقية مع المعاصي ولا يسلبون الفاسق الملي اسم الإيمان بالكلية، ولا يخلدونه في النار، كما تقوله المعتزلة بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان. انتهى كلامه.

ويقول ابن أبي العز الحنفي –رحمه الله–: إن أهل السنة متفقون كلهم على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفرًا ينقل من الملة بالكلية، كما قالت الخوارج. انتهى كلامه.

يقول الدكتور إبراهيم الرحيلي في كتابه (التكفير وضوابطه) عقب نقول الأقوال الآنفة الذكر: فتبين من هذه النقول، وغيرها مما يصعب حصره من كلام أئمة أهل السنة اتفاق أهل السنة على أن مرتكب الكبيرة مسلم فاسق لا يكفر بمعصيته.

ولا يبلغ مرتبة الإيمان المطلق بما معه من الإيمان، وبناء على هذا، فحكمه عند أهل السنة حكم سائر المسلمين في عصمة الدم، والمال، وكل المعاملات، والأحوال.

قال فضيل بن عياض: سمعت سفيان الثوري يقول: من صلى إلى هذه القبلة فهو عندنا مؤمن، والناس عندنا مؤمنون بالإقرار، والمواريث، والمناكحة، والحدود، والذبائح، والنسك، ولهم ذنوب، وخطايا الله حسيبهم إن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم.

ولا ندري ما هم عند الله ﷻ يقول الإمام البربهاري –رحمه الله–: واعلم بأن الدنيا دار إيمان، وإسلام، وأمة محمد ﷺ فيها مؤمنون مسلمون في أحكامهم.

ومواريثهم، وذبائحهم، والصلاة عليهم، ولا نشهد لأحد بحقيقة الإيمان، حتى يأتي بجميع شرائع الإسلام، فإن قصر في شيء من ذلك كان ناقص الإيمان حتى يتوب. انتهى كلامه.

ثم إن أهل السنة بعد اتفاقهم على حكم مرتكب الكبيرة، وأحكام معاملته في الدنيا اختلفوا اختلافًا لفظيًّا في مسماه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض ذكر اختلاف الفرق في مسمى صاحب الكبيرة: وأهل السنة والجماعة على أنه مؤمن ناقص الإيمان.

ولولا ذلك لما عذب كما أنه ناقص البر، والتقوى باتفاق المسلمين، وهل يطلق عليه اسم المؤمن؟ هذا فيه قولان، وقال الإمام ابن رجب: وقد اختلف أهل السنة هل يسمى مؤمنًا ناقص الإيمان؟

أو يقال: أو يقال ليس بمؤمن لكنه مسلم؟ على قولين، وهما روايتان عن أحمد فتلخص من هذا أن أهل السنة اختلفوا في مسمى مرتكب الكبيرة على ثلاثة أقوال؛ القول الأول: يسمى مسلمًا، والقول الثاني: يسمى مؤمنًا ناقص الإيمان، القول الثالث: يسمى مؤمنًا، ولكل قول من هذه الأقوالوجهته عند أصحابه، وفي الحقيقة أن هذه الأقوال ليس بينها كبير اختلاف، وهي من قبيل الاختلاف اللفظي.

وذلك أن أصحاب هذه الأقوال كلهم، متفقون على أن صاحب الكبيرة مسلم مقطوع له بأصل الإيمان موصوف بنقص الإيمان، فكل صاحب قول من الأقوال المنقولة يسمى صاحب الكبيرة باعتبار معنى قائم فيه على سبيل التغليب لأحد هذه المعاني.

ورأى أنه أولى في دلالته على المسمى، وغيره، والصحيح أن النصوص التي أطلقت على صاحب الكبيرة أنه مؤمن، فباعتبار أصل الإيمان الذي يثبت له به حكم الإسلام في الدنيا.

والنصوص التي نفت عنه الإيمان باعتبار كماله الذي لو ثبت له لاستحق دخول الجنة ابتداءً، وهو مذنب متوعد بالعقوبة تحت مشيئة الله، ومن هنا يظهر فصل النزاع في هذه المسألة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن ذكر الاختلاف في المسألة على ما تقدم نقله قال: والصحيح التفصيل، فإذا سئل عن أحكام الدنيا كعتقه في الكفارة، قيل: هو مؤمن، وكذلك إذا سئل عن دخوله في خطاب المؤمنين.

وأما إذا سئل عن حكمه في الآخرة قيل: ليس هذا النوع من المؤمنين الموعودين بالجنة، بل معه إيمان يمنعه الخلود في النار، ويدخل به الجنة بعد أن يعذب في النار إن لم يغفر الله له ذنوبه. فتبين أنهم باعتبار أحكام الدنيا يسمون مؤمنين، وباعتبار حكم الآخرة لا يثبت لهم هذا الاسم، وإنما هم تحت المشيئة، ولو كانوا مؤمنين لقطع بأنهم في الجنة. انتهى كلام الدكتور الرحيلي.

ثانيًا: حكم مرتكب الكبيرة عند أهل السنة في الآخرة:

يعتقد أهل السنة، والجماعة أن مرتكب الكبيرة في الآخرة تحت مشيئة الله تعالى إن شاء عذبه بعدله، وإن شاء غفر له برحمته وفضله.

يقول الإمام الطحاوي -رحمه الله-: وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار لا يخلدون إذا ماتوا، وهم موحدون، وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله عارفين، وهم في مشيئة الله، وحكمه.

إن شاء غفر لهم، وعفا عنهم بفضله كما ذكر في كتابه، {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا } [النساء: 48]، وإن شاء عذبهم في النار بعدله، ثم يخرجهم منها برحمته، وشفاعة الشافعين من أهل طاعته، ثم يبعثهم إلى جنته.

وذلك بأن الله تعالى مولى أهل معرفته، ولم يجعلهم في الدارين كأهل نكرته. انتهى كلام الإمام الطحاوي -رحمه الله-.

ويقول الإمام إسماعيل الصابوني –رحمه الله–: ويعتقد أهل السنة أن المؤمن إذا أذنب ذنوبًا كثيرة صـــغائر، وكبائر فإنه لا يكفر بها، وإن خرج عن الدنيا غير تائب منها، ومات على التوحيد، والإخلاص.

فإن أمره إلى الله إن شاء عفا عنه، وأدخله الجنة يوم القيامة سالمًا غانمًا غير مبتلى بالنار، ولا معاقب على ما ارتكبه، واكتسبه، ثم استصحبه إلى يوم القيامة من الآثام، والأوزار، وإن شـــاء عاقبه، وعذبه مدة بعذاب النار. وإذا عذبه لم يخلده فيها بل أعتقه، وأخرجه منها إلى نعيم دار القرار. انتهى كلامه.

وهذا يدلنا على فضل لا إله إلا الله أي: على فضل كلمة التوحيد، وفضل التوحيد، وأنه يمنع صاحبه من الخلود في النار من قال: لا إله إلا الله لا يخلد في النار؛ لأن التوحيد يمنع من الخلود في النار. لأن الإيمان الكامل يمنع من دخول النار ابتداءً، والتوحيد يمنع من التخليد في النار أي: أنه إن كانت عنده كبائر، وذنوب فإن شاء الله عفا عنه ابتداءً بفضله ورحمته، وإن شاء عذبه بعدله وحكمته.

إلا أنه لا يخلد في النار بســـبب ذلك الإيمان، الذي معه يقول الدكتور إبراهيم الرحيلي بعد نقله لأقوال السلف في حكم مرتكب الكبيرة في الآخرة: فتضمنت هذه النقول عقيدة أهل السنة في مرتكب الكبيرة في الآخرة، وهي تتلخص في الأمور التالية:

1. أن صاحب الكبيرة مستحق للعقوبة، ودخول النار بذنوبه.
2. أن صاحب الكبيرة إذا أدخله الله النار، فإنه لا يخلده فيها.
3. أن حكم صاحب الكبيرة يوم القيامة تحت مشيئة الله إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له.
4. أن عذاب صاحب الكبيرة في النار ليس كعذاب الكفار.
5. أن صاحب الكبيرة مآله إلى الجنة بعد استيفاء عقوبته.

وهذه الأحكام هي باعتبار حكم صاحب الكبيرة مطلقًا، وأما أفراد أهل الكبائر، فقد دلت النصوص على أن بعضهم يدخل الجنة بلا عذاب قطعًا، فيشهد له بذلك كما دل على هذا حديث صاحب البطاقة.

وهو حديث صـــحيح أخرجه الإمام أحمد في (المســـند) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص > قال: قال ر سول الله ﷺ: ((إن الله سيخلص رجلًا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلًّا كل سجل مد البصر، ثم يقول له: أتنكر من هذا شيئًا أظلمك كتبتي الحافظون؟ قال: لا يا رب، فيقول: ألك عذر، أو ح سنة؟ فيبهت الرجل، فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى، إن لك عندنا حســـنة واحدة لا ظلمَ اليوم عليك، فتخرج له بطاقة فيها أشهد ألا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فيقول: أحضروه، فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تظلم قال: فتوضع السجلات في كِفة. قال: فطا شت ال سجلات –أي: خفت، ورجحت بها البطاقة– وثقلت البطاقة، ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم)).

كما دلت النصوص على أن من أهل الكبائر من يدخل النار، فيعذب فيها ما شاء الله، ثم يخرج منها، فيشهد لهذا الصنف بذلك، كما دل على ذلك حديث أنس > في (الصحيحين).

عن النبي ﷺ قال: ((يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شـــعيرة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن ذرة من خير)).

يقول شيخ الإ سلام ابن تيمية: وأما دخول كثير من أهل الكبائر النار، فهذا مما تواترت به السنن عن النبي ﷺ كما تواترت بخروجهم من النار. انتهى كلامه.

فتبين بهذا أن من أهل الكبائر من لا يدخل النار، ومنهم من يدخلها، وهذا لا يتنافى مع مذهب السلف في أن أهل الكبائر تحت المشيئة إن شاء الله عفا عنهم، وإن شاء عذبهم. فإن من لم يدخلها هو ممن شاء أن يغفر له، ومن دخلها هو ممن شاء الله أن يعذبه، فقولهم: تحت

المشيئة وصف مجمل في حكمه للكبائر، ومن جاء الخبر بعفو الله عنهم، وبتعذيبهم تفصيل للحكم المجمل، فلا بد من الإيمان بكل ذلك. انتهى كلامه.

العنصر الثاني: مرتكب الكبيرة عند الخوارج، والمعتزلة، والمرجئة

أ. معتقد الخوارج في مرتكب الكبيرة:

أولًا: حكم مرتكب الكبيرة عندهم في الدنيا:

يعتقد الخوارج أن مرتكب الكبيرة كافر، وقد أجمعت على ذلك سائر فرقهم، إلا النجدات من الخوارج قال أبو الحسن الأشعري -رحمه الله-: وأجمعوا على أن كل كبيرة كفر، إلا النجدات، فإنها لا تقول ذلك. انتهى كلامه. ويعتقد النجدات أن الفاسق كافر على معنى كفر النعمة لا الكفر الأكبر، وقيل: إنهم لا يكفرون أهل الكبائر منهم، ويكفرون من أذنب من غيرهم، ويُجْرِي الخوارج أحكام الكفار على أهل المعاصي في الدنيا.

فيستبيحون دماء، وأموال أهل القبلة من أهل الكبائر لاعتقادهم كفرهم يقول أبو الحسن الأشعري -رحمه الله-: وأما السيف فإن الخوارج جميعًا تقول به، وتراه إلا أن الإباضية لا ترى اعتراض الناس بالسيف. ولكنهم يرون إزالة أئمة الجور، ومنعهم أن يكونوا أئمة بأي شيء قدروا عليه بالسيف، أو بغير السيف. انتهى كلامه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: أول البدع ظهورًا في الإسلام، وأظهر ذمًّا للسنة، والآثار بدعة الحَرُورية المارقة، ولهم خاصيتان مشهورتان فارقوا بهما جماعة المسلمين، وأئمتهم.

إحداهما: خروجهم عن السنة، وجعلهم ما ليس بسيئة سيئة، أو ما ليس بحسنة حسنة. الفرق الثاني في الخوارج، وأهل البدع: أنهم يكفرون بالذنوب، والسيئات.

ويترتب على تكفيرهم بالذنوب استحلال دماء المسلمين، وأموالهم، وأن دار الإسلام دار حرب، ودارهم هي دار الإيمان. انتهى كلامه.

وقد أخبر النبي ﷺ عن ا ستباحة الخوارج لدماء الم سلمين قبل وقوعه، فكان من علامات نبوته ﷺ.

ففي (صحيح مسلم) من حديث أبي سعيد الخدري > أن النبي ﷺ قال في ذي الخويصرة: ((إن مِن ضِئضئ هذا قومًا يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يقتلون أهل الإسلام،ويدعون أهل الأوثان)).

ثانيًا: حكم مرتكب الكبيرة عند الخوارج في الآخرة:

لما حكم الخوارج على أهل الكبائر في الدنيا بالكفر، وخروجهم من الدين بالكلية زعموا أن حكمهم بالآخرة هو دخول النار، وأنهم سيخلدون فيها أبدًا، وأن الله لا يغفر لهم شيئًا من ذنوبهم إن لم يتوبوا منها في الحياة الدنيا. يقول أبو الحسن الأ شعري –رحمه الله– في سياق حكاية مذهبهم: وأجمعوا على أن الله سبحانه يعذب أصحاب الكبائر عذابًا دائمًا إلا النجدات. انتهى كلامه.

ويقول شيخ الإ سلام ابن تيمية –رحمه الله–: والخوارج، والمعتزلة يقولون: إن صاحب الكبيرة يخلد في النار، ثم إنهم قد يتوهمون في بع ضه الأخيار أنه من أهل الكبائر، كما توهم الخوارج في عثمان، وعليٍّ، وأتباعهما أنهم مخلدون في النار. انتهى كلامه.

ويعتقد الخوارج أن العذاب الذي يكون لأهل الكبائر في النار، هو عذاب الكفار خلافًا للمعتزلة، كما أنكر الخوارج الشفاعة لأهل الكبائر بناءً على قولهم بتخليد أهل الكبائر في النار.

يقول شيخ الإ سلام ابن تيمية –رحمه الله–: لكن كثيرًا من أهل البدع، والخوارج، والمعتزلة أنكروا شفاعته أي: النبي ﷺ لأهل الكبائر فقالوا: لا يشفع لأهل الكبائر.

بناءً على أن أهل الكبائر عندهم لا يغفر الله لهم، ولا يخرجهم من النار بعد أن يدخلوها لا بشفاعة، ولا بغيره. انتهى كلامه.

ب. معتقد المعتزلة في مرتكب الكبائر:

أولًا: حكم مرتكب الكبيرة عندهم في الدنيا، يعتقد المعتزلة أن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين لا يسمى مؤمنًا، ولا يسمى كافرًا.

يقول القاضي عبد الجبار المعتزلي، وهو من كبائر أئمة المعتزلة: صاحب الكبيرة له اسم بين الاسمين، وحكم بين الحكمين لا يكون اسمه اسم الكافر، ولا اسمه اسم المؤمن.

وإنما يسمى فاسقًا، وكذلك فلا يكون الحكم الذي ذكرناه هو سبب تلقيب المسألة بالمنزلة بين المنزلتين، فإن صاحب الكبيرة له منزلة تتجاذبها هاتان المنزلتان، فليست منزلته منزلة الكافر، ولا منزلة المؤمن بل له منزلة بينهم. انتهى كلامه.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– مبينًا أقوال الناس في حكم مرتكب الكبيرة: والمعتزلة ينفون عنه اسم الإيمان بالكلية، واسم الإسلام أيضًا يقولون: ليس معه شيء من الإيمان، والإسلام، ويقولون: ننزله منزلة بين المنزلتين. انتهى كلامه.

ويقول الدكتور إبراهيم الرحيلي: فتلخص من هذا أن معتقد المعتزلة في مرتكب الكبيرة، أنهم يسلبون عنه مسمى الإيمان والإسلام فلا يسمونه مؤمنًا، ولا مسلمًا كما أنهم يسلبون عنه مسمى الكفر، فلا يسمونه كافرًا.

ويقولون: هو في منزلة بين الكفر والإيمان، ويسمونه فاسقًا، فهذا هو مجمل معتقدهم في مسمى مرتكب الكبيرة. وأما حكم معاملته في الدنيا، والذي يدل عليه كلام القاضي عبد الجبار السابق أنهم يجرون عليه أحكام المسلمين، فإنه قال: وكذلك فلا يكون حكمه حكم الكافر، ولا حكم المؤمن بل يفرد له حكم ثالث.

فظاهر من كلامه أنهم لا يجرون عليهم أحكام الكفار، ولا أحكام أهل الإيمان الكامل، ومفهوم ذلك أنهم يحكمون لهم بحكم فساق المسلمين.

وهؤلاء تجري عليهم أحكام أهل الإ سلام، ويؤيد هذا قول شيخ الإ سلام ابن تيمية –رحمه الله–: فالمعتزلة ســـووا بين أهل الذنوب، وبين المنافقين في أحكام الدنيا، والآخرة. انتهى. ومعلوم أن المنافقين المظهرين للإســـلام تجري عليهم أحكام المســـلمين في الدنيا، وهم في الآخرة مخلدون في النار. انتهى كلامه.

ثانيًا: حكم مرتكب الكبيرة عندهم أي: عند المعتزلة في الآخرة:

يعتقد المعتزلة أن مرتكب الكبيرة إن مات قبل التوبة منها، أنه يكون يوم القيامة خالدًا مخلدًا في النار مع الكفار، يقول الشهرستاني –رحمه الله– في وصف رأي المعتزلة: واتفقوا على أن المؤمن إذا خرج من الدنيا على طاعة، وتوبة.

استحق الثواب، والعوض، والتفضيل، ومعنى آخر وراء الثواب، وإذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها اســـتحق الخلود في النار، لكن يكون عقابه أخف من عقاب الكفار، وسموا هذا النمط وعدًا، ووعيدً. انتهى كلامه.

ويقول الـ شيخ حافظ الحكمي –رحمه الله–: وقالت المعتزلة: العـ صاة ليـ سوا مؤمنين، ولا كافرين، ولكن نـ سميهم فا سقين، فجعلوا الفـ سق منزلة بين المنزلتين، ولكنهم لم يحكموا له بمنزلة في الآخرة بين المنزلتين، بل قضوا بتخليده في النار أبدًا. انتهى كلامه.

فالمعتزلة من حيث الجملة يوافقون الخوارج في حكم مرتكب الكبيرة في الآخرة، ويخالفونهم في حكم الدنيا، كما أن بين الطائفتين توافقًا من بعض الوجوه، واختلافًا من وجوه أخرى في تفاصيل معتقدهما في مرتكب الكبيرة.

ومن هنا يظهر رسوخ عقيدة تخليد أهل الكبائر في النار عند المعتزلة، وأن تقريرهم لها ليس لمجرد شبهتهم في الإيمان، وأنه إذا ذهب بعضه ذهب كله، ولا إلى النظر المجرد في استحقاق أهل الوعيد للعقوبة فحسب.

بل إلى ما هو أبعد من ذلك، وهو أن عقوبة العصاة أمر متحتم لازم لا يجوز على الله تركه، وإلا أفضى إلى نسبة النقص لرب العالمين. انتهى.

جـــ. معتقد المرجئة في مرتكب الكبيرة:

أولًا: حكم مرتكب الكبيرة عندهم في الدنيا يعتقد المرجئة يعتقد المرجئة أن مرتكب الكبيرة مؤمن كامل الإيمان.

وهذا بناءً على أصلهم في إخراج الأعمال من الإيمان، وأنها ليست داخلة في مسمى الإيمان على ما تقدم تقريره، وقد نقل العلماء هذا المذهب عن المرجئة في حكم عصاة المسلمين، ومسماهم عندهم.

قال ابن حزم –رحمه الله–: واختلف الناس في تسمية المذنب من أهل ملتنا، فقالت المرجئة: هو مؤمن كامل الإيمان، وإن لم يعمل خيرًا قط، ولا كف عن شر قط. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: فقالت المرجئة جهميتهم، وغير جهميتهم: هو مؤمن كامل الإيمان.

وقال في موضـــع آخر: فقالت الجهمية والمرجئة: قد علمنا أنه ليس يخلد في النار، وأنه ليس كافرًا مرتدًّا، بل هو من المسلمين، وإذا كان من المسلمين وجب أن يكون مؤمنًا تام الإيمان. انتهى.

وبناء على هذا القول يقطع المرجئة لعامة المسلمين بالإيمان، وأن الدار دار إيمان، ويبنون على ذلك سائر الأحكام يقول أبو الحسن الأشعري –رحمه الله–: وأجمعت المرجئة بأسرها أن الدار دار إيمان، وحكم أهلها الإيمان، إلا من ظهر منه خلاف الإيمان. انتهى كلامه.

ثانيًا: حكم مرتكب الكبيرة عندهم في الآخرة:

يذهب المرجئة إلى أن مرتكب الكبيرة لا يدخل النار، وإن فعل ما فعل من الذنوب، والآثام، قال الملطي –رحمه الله–: إن بعضهم يقول: من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ، وحرم ما حرم الله، وأحل ما أحل الله دخل الجنة إذا مات، وإن زنى و سرق، وقتل و شرب الخمر، وقذف المحصنات، وترك الصلاة والزكاة، والصيام إذا كان مقرًّا بها يسوف في التوبة لم يضره وقوعه على الكبائر، وتركه للفرائض، وركوبه الفواحش. انتهى كلامه.

ونقل الدكتور إبراهيم الرحيلي عن السكسكي -رحمه الله- أنه قال: إن إجماع المرجئة على هذا القول محل نظر، وإنما هو قول بعضهم كما ذكر الملطي.

وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- أن القول بأن أهل الكبائر يدخلون الجنة، ولا يدخلون النار هذا قول غالية المرجئة؛ لأن المرجئة ثلاث طوائف: الجهمية وهم غلاتهم، والكرامية، ومرجئة الفقهاء.

فالجهمية على هذا القول هم الذين يقولون: إن مرتكب الكبيرة يدخل الجنة. انتهى كلامه -رحمه الله.

الدرس الحادي عشر: **أفضلية الخلفاء الأربعة بحسب ترتيبهم، والأدلة على ذلك**

العنصر الأول: بيان ترتيب الخلفاء الأربعة الراشدين في الأفضلية والخلافة

العنصر الثاني: فضل أبي بكر وعمر وخلافتهما

العنصر الثالث: فضل عثمان وعلي وخلافتهما

العنصر الأول: بيان ترتيب الخلفاء الأربعة الراشدين في الأفضلية والخلافة

إن خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضـــي الله عنهم حق، وإمامتهم دين وصـــدق، وترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة، وهذا مما أجمع عليه السلف الصالح من هذه الأمة وأئمتها.

ومما دلَّ على ذلك من كتاب الله -تعالى- قوله: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ [النور: 55].

قال الآجري في (الشريعة): "فقد والله أنجزَ اللهُ الكريمُ لَهُم ما وعدَهُم به، جعلهم الخلفاء من بعد الرسول صلى الله عليه وسلم، ومكنهم في البلاد، وفتحوا الفتوح، وغنموا الأموال، وسبوا ذراري الكفار، وأسلم في خلافتهم خلقٌ كثير، وقاتلوا من ارتدَّ عن الإسلام حتى أجلوهم، وراجع بعضهم، كذلك فعل أبو بكر الصديق > فكان سيفُهُ فيهم سيف حق إلى أن تقوم الســـاعة، كذلك الخليفة الرابع: وهو علي بن أبي طالب > كان ســـيفُهُ في الخوارج سيف حق إلى أن تقوم الساعة، فأعزَّ الله دينه بخلافتهم، وأذلّوا الأعداء، وظهر أمرُ الله، ولو كره المشركون، وسنُّوا للمسلمين السنن الشريفة، وكانوا بركةً على جميع أمة محمد صلى الله عليه وسلم من أهل السنة والجماعة.

وأما ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم فقد روى سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((الخلافة ثلاثون سنة)) ثم قال: أمسك أبو بكر سنتين، وعمر عشر، وعثمان ثنتا عشرة، وعلي ست، وكذا ولوها. وكذا روى أبو بكرة عن النبي صلى الله عليه وسلم شبيهًا بهذا.

وقال صلى الله عليه وسلم: ((الأئمة من قريش)). وقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ)). انتهى.

وللإمام أبي عثمان الصابوني كلام نفيسٌ في بيانِ ترتيب الخلافة بين الأربعة: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي } آثرت أن أنقله كاملًا لأهميته، قال -رحمه الله- في (عقيدة الســـلف): "ويشهدون -أي: أهل السنة- ويعتقدون أن أفضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه

و سلم أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، وأهم الخلفاء الرا شدون الذين ذكَرَ ر سول الله صلى الله عليه و سلم خلافتهم بقوله: -فيما رواه سعيد بن جهمان، عن سفينة: ((الخلافة بعدي ثلاثون سنة))". وبعد انقضاء أيامهم عاد الأمر إلى الملك العضوض على ما أخبر عنه الرسول صلى الله عليه وسلم.

ويُثبت أ صحاب الحديث خلافة أبي بكر ر ضي الله عنه بعد وفاة ر سول الله صلى الله عليه و سلم وباختيار الـ صحابة واتفاقهم عليه، وقولهم قاطبة: "ر ضيه ر سول الله صلى الله عليه و سلم لديننا فر ضيناه لدنيانا" يعني: أنه ا ستخلفه في إقامة الـصلوات المفرو ضات بالناس أيام مرضه، وهي دين، فرضيناه خليفةً للرسولِ صلى الله عليه وسلم علينا في أمورِ دُنْيَانَا.

وقولهم: "قدمك رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ذا الذي يؤخرك؟". وأرادوا أنه صلى الله عليه و سلم قدمك في الـ صلاة بنا أيام مر ضه ف صلينا وراءك بأمره فمن ذا الذي يؤخرك بعد تقديمه إياك.

وكان ر سول الله صلى الله عليه و سلم يتكلم في شأن أبي بكر في حال حياته بما يبين للـ صحابة أنه أحق الناس بالخلافة بعده؛ فلذلك اتفقوا عليه واجتمعوا، فانتفعوا بمكانه والله، وارتفعوا به وارتفقوا؛ حتى قال أبو هريرة رضي الله عنه: والله الذي لا إله إلا هو لولا أن أبا بكر ا ستخلف لما عُبِدَ الله، ولما قيل له: مه يا أبا هريرة، قام بحجة صحة قوله، فـصدقوه فيه وأقروا به.

ثم خلافةُ عمر بن الخطاب ر ضي الله عنه با ستخلاف أبي بكر إياه، واتفاق الـ صحابة عليه بعده، وإنجاز الله -سبحانه- بمكانه في إعلاء الإسلام وإعظام شأنه.

ثم خلافة عثمان ر ضي الله عنه بإجماعِ أهل الـ شورى، وإجماعِ الأ صحاب كافة، ور ضاهم به؛ حتى جُعِلَ الأمر إليه.

ثم خلافة علي ر ضي الله عنه ببيعة الـصحابة إياه، عرفه ورآه كل منهم أحق الخلق وأولاهم في ذلك الوقت بالخلافة، و لم يستجيزوا عصيانه وخلافه.

فكان هؤلاء الأربعة الخلفاء الراشدين، والذين نصر الله بهم الدين، وقهر وقسر بمكانهم الملحدين، وقوى بمكانهم الإسلام، ورفع في أيامهم للحق الأعلام، ونور بضيائهم ونورهم وبهائهم الظلام،

وحقق بخلافتهم وعده السابق في قوله عزوجل : وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ [النور: 55] الآية. وفي قوله: ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ. وهذه بعض التفاصيل لفضائل هؤلاء الخلفاء الأربعة.

العنصر الثاني: فضل أبي بكر وعمر وخلافتهما

أولًا: أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

وأفضل الصحابة رضوان الله عليهم وأشرفهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه وقد دلَّ على فضله الكتاب والسنة وإجماع السلف. قال الله تعالى: إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا [التوبة: 40].

قال أبو المظفر السمعاني في (تفسيره): "وقوله: إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ أي: لأبي بكر رضي الله عنه باتفاق أهل العلم".

وقد روى البخاري، ومسلم عن أنس عن أبي بكر رضي الله عنه قال: قلت للنبي صلى الله عليه وسلم وأنا في الغار: ((لو أن أحدهم أبصر تحت قدميه لأبصرنا، فقال: ما ظنُّكَ يا أبا بكر، باثنين الله ثالثهما؟)). وقال تعالى: وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِي يُؤْتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾ [الليل: 17 - 21].

قال ابن كثير في التفسير: "وقد ذكر غيرُ واحد من المفسرين أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك، ولا شك أنه داخلٌ فيها وأولى الأمة بعمومها؛ فإن لفظها لفظُ العموم، ثم قال: ولكنه مقدم الأمة وسابقهم في جميع هذه الأوصاف، وسائر الأوصاف الحميدة؛ فإنه كان صديقًا تقيًّا كريمًا جوادًا بذَّالًا لأمواله في طاعة مولاه، ونصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكم من دراهم ودنانير بذلَهَا ابتغاء وجه ربه الكريم".

والأحاديث في فضائل الصديق كثيرة جدًّا؛ استقصى جملة منها البخاري ومسلم في صحيحيهما.

ومما ورد في ذلك ما رواه البخاري ومسلم: أن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه قال: ((خطبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس، وقال: إن الله خيَّرَ عبدًا بين الدنيا، وبين ما عنده، فاختَارَ ذلك العبد ما عند الله. قال: فبكى أبو بكر، فعجبنا لبكائِهِ؛ أن يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبدٍ خير، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخَيَّرُ، وكان أبو بكر أعلمنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أَمَنَّ الناس عليَّ في صحبتِهِ وماله أبو بكر، ولو كنت متخذًا خليلًا غير ربي؛ لأتخذت أبا بكر، ولكن أخوةُ الإسلام ومودتُهُ، لا يبقينَّ في المسجد بابٌ إلا سُدَّ إلا بابَ أبي بكر)).

وقد اختلف أهل السنة في خلافة الصديق رضي الله عنه هل كانت بالنص أو بالاختيار، والصحيح: أنها كانت بالإشارة والنص الخفي، والأدلة على ذلك كثيرة: من ذلك ما رواه البخاري عن جبير بن مطعم، قال: ((أتت امرأة النبي صلى الله عليه وسلم فأمرها أن ترجع إليه، قالت: أرأيت إن جئت فلم أجدك؟ كأنها تريد الموت، قال: إن لم تجديني فأتي أبا بكر)).

وعن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((اقتدوا باللذَيْنِ من بعدي أبي بكر وعمر)). رواه أهل السنن.

وعن عائشة رضي الله عنه قالت: دخل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في اليوم الذي بدئ فيه، فقال: ((ادعي لي أباك وأخاك؛ حتى أكتب لأبي بكر كتابًا، ثم قال: يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر)). وفي رواية: ((فلا يطمع في هذا الأمر طامع)). وفي رواية قال: ((ادعي لي عبد الرحمن بن أبي بكر لأكتب لأبي بكر كتابًا لا يختلف عليه، ثم قال: معاذَ اللهِ أن يختلف المؤمنونَ في أبي بكر)). رواه البخاري.

وأحاديث تقديمه في الصلاة مشهورة معروفة، وهو يقول: ((مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس)). وقد روجع في ذلك مرة بعد مرة، فصلى بهم مدة مرض النبي صلى الله عليه وسلم.

قال السيوطي في (تاريخ الخلفاء): قال العلماء: هذا الحديث، أي: حديث تقديمه في الصلاة، أوضح دلالة على أن الصديق أفضل الصحابة على الإطلاق، وأحقهم بالخلافة، وأولاهم بالإمامة.

فالنبي صلى الله عليه و سلم لم ينص على خلافة أبي بكر رضي الله عنه نصًّا، و لم يكتب في ذلك عهدًا، بل كانت مجردَ إشارةٍ منه صلى الله عليه وسلم إلى ذلك كما قال ابن عمر، عن أبيه رضي الله عنهما أنه قال: إن أستخلف، فقد استخلف من هو خير مني، يعني: أبا بكر، وإن لا أستخلف، فلم يستخلف من هو خير مني، يعني: رسول الله صلى الله عليه و سلم. قال عبد الله: فعرفت أنه حين ذكر رسول الله صلى الله عليه و سلم غير مستخلف. رواه البخاري ومسلم. وعن عائشة رضي الله عنها: أنها سُئِلَت من كان رسول الله مستخلفًا لو استخلف؟ فقالت: أبو بكر. رواه مسلم.

قال ابن أبي العز في (شرح العقيدة الطحاوية): والظاهر –والله أعلم– أنه لم يستخلف بعهد مكتوب، ولو كتب عهدًا لكتبه لأبي بكر، بل أراد كتابته ثم تركه، و قال: ((يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر)). فكان هذا أبلغ من مجرد العهد؛ فإن النبي صلى الله عليه و سلم دل المسلمين على استخلاف أبي بكر، وأرشهم إليه بأمور متعددة، من أقواله وأفعاله، وأخبر بخلافته إخبارَ راضٍ بذلك، حامد له، وعزم على أن يكتب بذلك عهدًا، ثم علم أن المسلمين يجتمعون عليه، فترك الكتاب؛ اكتفاءً بذلك، ثم عزم على ذلك في مرضه يوم الخميس، ثم لما حصل لبعضهم شك، هل ذلك القولُ من جهة المرض؟ أو هو قول يجب اتباعه؟ ترك الكتابة، اكتفاءً بما علم أن الله يختاره.

فلو كان التعيين مما يشتبه على الأمة لبينه بيانًا قاطعًا للعذر، لكن لَّما دلهم دلالات متعددة على أن أبا بكر المتعين، وفهموا ذلك، حصل المقصود. ولهذا قال عمر > في خطبته التي خطبها بمحضر من المهاجرين والأنصار: أنت خيرُنَا و سيدُنَا، وأقربنا، وأحبُّنَا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و لم يُنكر ذلك منهم أحد، ولا قال أحد من الصحابة: إن غير أبي بكر من المهاجرين أحق بالخلافة منه، و لم ينازع أحد في خلافتِهِ إلا بعض الأنصـــار، طمع في أن يكون من الأنصار أمير، ومن المهاجرين أمير، وهذا مما ثبت بالنصوص المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم بطلانه.

ثم الأنصار كلهم بايعوا أبا بكر، إلا سعد بن عبادة؛ لكونه هو الذي كان يطلب الولاية، و لم يَقُلْ أحدٌ من الصحابة قط بأن النبي صلى الله عليه و سلم نص على غير أبي بكر، ولا

علي ولا العباس، ولا غيرهُمَا، كما قد قال أهل البدع. وروى ابن بطة بإسناده: أن عمر بن عبد العزيز بعث محمد بن الزبير الحنظلي إلى الحسن، فقال: هل كان النبي صلى الله عليه وسلم استخلف أبا بكر؟ فقال: أوفي شك صاحبك؟ نعم، والله الذي لا إله إلا هو استخلَفَهُ، لهو كان أتقى لله من أن يتثوب عليها.

ثانيًا: عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

ويلي أبا بكر في الفضل والخلافة عمرُ بن الخطاب رضي الله عنهما وهذا مما أجمع عليه السلف الصالح من هذه الأمة وأئمتها. وتمَّ ذلك بتفويض أبي بكر الخلافة إليه، واتفاق الأمة بعده عليه.

وفضائله كثيرة جدًّا؛ فهي أشهر من أن تنكر، وأظهر من أن تُذْكَر، وقد تواتر عن محمد ابن الحنفية أنه قال: قلت لأبي: من خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: يا بني، أو ما تعرف؟ فقلت: لا. قال: أبو بكر. قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر. وخشيت أن يقول: ثم عثمان! فقلت: ثم أنت؟ فقال: ما أنا إلا رجل من المسلمين. رواه البخاري وغيره.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: وُضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويثنون ويصلون عليه قبل أن يرفع، وأنا فيهم، فلم يَرُعْني إلا برجلٍ قد أخذ بمنكبي من ورائي، فالتفتُّ إليه، فإذا هو عليّ، فترحم على عمر، وقال: ما خلّفتُ أحدًا أحب أن ألقى الله بمثلِ عملِهِ منك، وايم الله، إن كنتُ لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وذلك أني كنتُ كثيرًا ما أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((جئت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر، فإن كنت لأرجو، أو لأظن أن يجعلك الله معهما)). صحيح رواه ابن أبي عاصم.

ومن الأحاديث الواردة في فضائِله ما أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة > قال: بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال: ((بينَا أَنَا نائمٌ رأيتُني في الجنةِ، فإذا امرأةٌ تتوضأُ إلى جَانب قصرٍ فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا القصرُ؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب، فذكرتُ غيرَتَه فوليت مدبرًا، فبكَى عمرٌ، وقال: أعليك أغار يا رسول الله؟)).

وعن عبد الله بن عمر ر ضي الله عنهما قال: سمعت ر سول الله صلى الله عليه و سلم قال: ((بينا أنا نائم، أوتيت بقدحِ لبن، فشربتُ حتى إني لأرى الري يخرج في أظفاري، ثم أعطيت فضـــلي عمر بن الخطاب. قال: فما أولته يا رســـول الله؟ قال: العلم)). أخرجه البخاري، ومسلم.

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال ر سول الله صلى الله عليه و سلم: ((بينا أنا نائمٌ، رأيت الناسَ يُعر ضون علي وعليهم قمص، منها ما يبلغ الثدي، ومنها ما دون ذلك، وعرض علي عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره، قالوا: فما أولت ذلك يا رسول الله؟ قال: الدين)).

العنصر الثالث: فضل عثمان وعلي وخلافتهما

ثالثًا: عثمان بن عفان رضي الله عنه:

ويلي عمرَ في الفضل والخلافة عثمانُ بنُ عفان رضي الله عنه. وهو ممن أجمع السلف الصالح على فضله و شرفه، وقد وردَ في ذلك نصوص منها ما أخرجه مسلم: عن سعيد بن العاص أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وعثمان حدثاه: ((أن أبا بكر استأذنَ على رسول الله صلى الله عليه و سلم وهو مضطجَعٌ على فراشه لابسٌ مرط عائشة، فأذن لأبي بكر وهو كذلك، فق ضى إليه حاجته ثم ا نصرف، ثم ا ستأذَنَ عمر؛ فَأَذِنَ له، وهو على تلك الحال، فقضى إليه حاجته ثم انصرف، قال عثمان: ثم ا ستأذنت عليه فجلس، وقال لعائشة: اجمعي عليك ثيابك، فق ضيت إليه حاجتي، ثم ا نصرفت، فقالت عائ شة: يا ر سول الله، ما لي لا أراك فزعت لأبي بكر وعمر { كما فزعت لعثمان؟ قال ر سول الله صلى الله عليه و سلم: إن عثمان رجل حيي، وإني خشيت إن أذنتُ له على تلك الحال ألا يبلغ إلي في حاجته)).

وفي رواية أخرى لم سلم: عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائ شة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ألا أستحيي من رجل تستحيي منه الملائكة)).

ومن فضائله رضي الله عنه أيضًا أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: ((مَن يحفر بئر رومة فله الجنة، فحفَرَهَا عثمان))، وقال: ((من جَهَّزَ جيشَ العسرة، فله الجنةُ، فجهَّزَهُ عثمان)). رواه البخاري تعليقًا، وأخرجه الترمذي وقال: "حديث حسن صحيح غريب".

رابعًا: علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

ويلي عثمانَ في الفضل عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه وفضائله أيضًا كثيرة، منها ما أخرجه البخاري ومسلم عن سعد بن أبي وقاص: ((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى تبوك واستخلف عليًّا، فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء، قال: ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه ليس نبيٌّ بعدي)).

قال القاضي عياض في (إكمال المُعْلِم): "مما تعلقت به الروافض والإمامية وسائر فرق الشيعة، وبعض المعتزلة في أن الخلافة كانت حقًّا لعلي، واستخلاف النبي صلى الله عليه وسلم له لذلك بهذا الحديث، وأشباهه مما احتجوا به، وهذا الحديث بكل حال لا حجة فيه لأحدٍ منهم، بل فيه من فضائل علي ومنزلته ما لا يحطُّ من منزلة غيره، وليس في قوله هذا دليل على استخلافِه بعده؛ لأنه إنما قال له حين استخلفه على المدينة في غزوة تبوك، فقال له ذلك لاستخلافه بعده، بدليل أن هارون الذي يستشهد به لم يكن خليفةً بعد موسى، وإنما مات في حياتِهِ، وقبل موتِ موسى بنحوِ أربعين سنةٍ على ما قال أهل الخبر، إنما استخْلَفَهُ موسى حين ذهب لمناجاة ربه، فقال له: وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ [الأعراف: 142] كما نص الله تعالى.

وقال القرطبي في (المُفهم): "وعلى الجملة؛ فلا حجة لأحد منهم في هذا الحديث، فإن النبي صلى الله عليه وسلم إنما استنابه في أمر خاص، كما استناب موسى هارون -عليهما السلام- في وقت خاصٍّ، فلما رجع موسى عليه السلام من مناجاته، عاد هارونُ إلى أول حالاته، على أنه قد كان هارونُ شارك مع موسى في أصل الرسالة، فلا تكون لهم فيما راموه دلالة".

ومما ورد في فضائل علي رضي الله عنه أيضًا ما أخرجه البخاري ومسلم أيضًا عن سلمة بن الأكوع، قال: كان علي قد تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم في خيبر، وكان به رمد، فقال: أنا أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فخرج عليٌّ فلحق بالنبي صلى الله

عليه وسلم فلما كان مساء الليلة التي فتحها الله في صباحها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لأعطينَّ الرايةَ –أو ليأخذنّ الرايةَ– غدًا رجلًا –أو رجلٌ– يحبه الله ورسوله –أو قال: يحب الله ورسوله– يفتحُ الله عليه، فإذا نحن بعلي وما نرجوه، فقالوا: هذا علي، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الراية ففتح الله عليه)).

الدرس الثاني عشر: **فضل الصحابة، والتوسط فيهم بين الإفراط والتفريط.**

العنصر الأول: ذكر فضل الصحابة ومنزلتهم عمومًا

العنصر الثاني: ذكر قول الخوارج في الصحابة

العنصر الثالث: ذكر قول الروافض في الصحابة

العنصر الرابع: أهل السنة وسط في الصحابة بين الإفراط والتفريط

العنصر الأول: ذكر فضل الصحابة ومنزلتهم عمومًا

بعد ذكر ما يتعلق بفضائل الصحابة رضي الله عنهم وترتيبهم في الخلافة، لا بد من بيان شبه المخالفين، والردّ عليهم، ووسطية أهل السنة في ذلك:

إن أ شرف الناس بعد الأنبياء والر سل، وأفضلهم منزلة صحابة ر سول الله صلى الله عليه و سلم الذين اجتباهم الله لـ صحبة نبيه صلى الله عليه و سلم وا صطفاهم له من بين سائر خلقه.

قال الإمام الطحاوي في "عقيدته المشهورة شرح ابن أبي العز": "ونحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيان".

وقال ابن أبي زمنين في (أصول السنة): ومن قول أهل السنة أن يعتقد المرء المحبة لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأن ينشر محاسنَهُم وفضائلهم، ويمسك عن الخوضِ فيما دار بينهم، وقد أثنى الله عزوجل في غير موضع من كتابه ثناءً أوجب التشريف إليهم بمحبتهم، والدعاء.

وعن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِى ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِىءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ)). رواه البخاري ومسلم.

وقد توسع الحافظ العلائي في ذكر النصوص من الكتاب والسنة الدالة على فضل الصحابة وعدالتهم في كتابه: (تحقيق منيف الرتبة لمن ثبت له شريف الـ صحبة). وقال في م ستهلّ

خطبة كتابه: "إن الله عزوجل اختصَّ نبيه صلى الله عليه و سلم بصحابةٍ جعلهم خير أمته، والسابقين إلى تصديقه وتبعيته، والمجاهدين بين يديه، والباذلين نفوسهم تقربًا إليه، والناقِلِينَ لسنته وقضاياه، والمقتدين به في أفعاله ومزاياه، فلا خير إلا وقد سبقوا إليه من بعدهم، ولا فضل إلا وقد استفرغوا فيه جهدهم، فجميع هذا الدين راجع إلى نقلهم وتعليمهم، ومتعلق من جهتهم بإبلاغهم وتفهيمهم، فلهم مثلُ أجور من اهتدى بشـــيء من ذلك على مَرِّ الأزمان، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء بالطول والإحسان".

وقد عني العلماء عنايةً فائقةً بشـــأن الصـــحابة الكرام؛ فألَّفوا في فضـــائلهم كتبًا، منها (فضائل الصحابة) للإمام أحمد، و(فضائل الصحابة) لخيثمة بن سليمان، و(فضائل الصحابة) للدارقطني، وكثير منها مطبوع موجود بين يدي المسلمين.

العنصر الثاني: ذكر قول الخوارج في الصحابة

من مقالات الخوارج التكفير بالذنوب الكبائر، وبعضهم يتعدى ذلك إلى الصغائر، ويرون الخروج على من اقترف شيئًا من ذلك من الحكام.

ولهذا اعتبروا الخليفة الراشد الرابع عليَّ بن أبي طالب > مذنبًا حيث حكَّم الحَكَمَين بينه وبين معاوية رضي الله عنه، وطالبوه بالتوبة من ذلك الذنب الذي ارتكبه بزعمهم، وقالوا: "لا حكم إلا لله. تُبْ من خطيئتك وارجع عن قضيتك". فلما لم يجبهم صرحوا بكفره، واستحلوا الخروج عليه وقتاله. بل أجمعوا على كفره، وكفر الحكمين، ومن رضي بالتحكيم وقبله، وفيهم عدد كبير من الصحابة رضي الله عنهم.

ثم قالوا: عثمان وعلي ومن والاهما ليســـوا بمؤمنين؛ لأنهم في زعمهم حكموا بغير ما أنزل الله. فضلوا في مقامين:

أحدهما: أنهم قالوا بأن من خالف القرآن بعملٍ أو برأيٍ أخطأ فيه فهو كافر.

والثاني: أن عثمانَ وعليًّا، ومن والاهما خالفوا القرآن؛ فهم بذلك كفار على حد زعمهم وافترائهم.

فجمعوا بين الجهل والإعراض عن فهم السلف، ولهذا قال النبي صلى الله عليه و سلم فيهم: ((يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلَاتَكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَ صِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ وَأَعْمَالَكُمْ مَعَ أَعْمَالِهِمْ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينَ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ)) الحديث.

وتكاد كتب الفِرَق والمقالات تُجْمِعُ على قولِ الخوارج بتكفير علي وعثمان رضي الله عنهما ثم الحكمين، ومن رضي بالتحكيم. ومنه يتبين موقف الخوارج المنحرف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفريطهم وجفاؤهم في طائفة من خيار الصحابة، الذين قد شهد لبعضهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة، وأكثرهم يدخل فيمن رضي الله عنهم بنصِّ القرآن الكريم، ولكنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

العنصر الثالث: ذكر قول الروافض في الصحابة

وأما الشيعة الروافض: فقد جمعوا بين الإفراط والتفريط، وبين الغلو والإجحاف في أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم و}. فلهم في بعض الصحابة كعليٍّ والحسين رضي الله عنهما غلوٌّ وإفراط؛ حتى وصل الحد ببعضهم القول بألوهية علي، وقال بعضهم بنبوّتِه. وأدنى ضلالتهم تقديمه على من هو أفضل منه من الصحابة.

ولهم في البعض الآخر من الصحابة تفريط وإجحاف وتقصير، أعظمه القول بكفرهم ولعنهم، وأدناه القول: بتأخيرهم عن مرتبتهم، والتخلُّف بهم عن مكانَتِهم، ولهم بين ذلك ضلالات وافتراءات تتراوح بين الغلوّ والتقصير، ما لهم بذلك من علم، إن يتبعون إلا الظن، وإن الظن لا يغني من الحق شيئًا.

فطعنهم في أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهما وسبهم ولعنهم، بل وتكفيرهم أمر معلوم لدى القاصي والداني، وكتبهم حافلة بذلك قديمًا وحديثًا؛ حتى ولو أخفوا ذلك أحيانًا باسم التقية، إلا أنهم لشدةِ حقدهِم وبغضهم، وعمق الغِلِّ الذي في قلوبهم للصحابة رضي الله عنهم لا يستمر ذلك معهم طويلًا؛ لا سيما إذا هم شمُّوا رائحة الغلبة والتمكين، ثم يرجعون إلى ما جروا عليه من الضلال وسوء الاعتقاد.

قال الشهر ستاني: "ويجمعهم –أي: الشيعة الروافض– القول بوجوب التعيين والتنصيص،

وثبوت ع صمة الأنبياء والأئمة وجوبًا عن الكبائر وال صغائر، والقول بالتولِّي والتبري قولًا وفعلًا وعقدًا؛ إلا في حال التقية". وفي الجملة؛ فإن الشـــيعة الروافض يكفّرون ويتبرءون من معظم ال صحابة، إلا جماعة قليلة ونادرة منهم. وجعلوا إمامة علي بعد ر سول الله صلى الله عليه وسلم من تمام الدين، ومن أنكر ذلك عندهم فهو في عداد الكافرين.

وقالوا: إن عليًّا هو الخليفة بعد ر سول الله صلى الله عليه و سلم دون غيره بالنص. وزعموا أن إمامة علي وبنيه من أركان الدين. ولا حجة لهم في شيء من ذلك إلا الكذب والزور.

فالذي يميّز ال شيعي الراف ضي من غيرِهِ تف ضيلهم عليًّا على سائر ال صحابة، ثم زاد على ذلك القول بتقديمه في الإمامة على غيره من الخلفاء؛ حيث زعموا أن النبي صلى الله عليه و سلم نصَّ على ذلك، وهم يعلمون أنها مجرد دعوى كاذبة، مخالفة للنصـــوص الصـــحيحة، مناقضـــة لإجماع المسلمين عامة.

ولقد مات ر سول الله صلى الله عليه و سلم و لم ينص بالخلافة لأحد لا لأبي بكر ولا لغيره، على أنه صلى الله عليه وسلم كان يشير لأبي بكر رضي الله عنه إشارة، وقد دَلَّتِ النصوصُ الصحيحةُ الصريحةُ على صحةِ إمامةِ وخلافةِ الصديق، وثبوت انعقادها بمبايعة المسلمين له، واختيارهم إيَّاه، واجتماعهم عليه، مما علموا من تف ضيل الله ور سوله صلى الله عليه و سلم له. وقد سبق بيان شيء من هذا سابقًا، وما ورد في خلافته مما أغنى عن إعادته هنا.

والمق صود لدينا في هذا المقام إثبات الحجة، وإقامة البرهان الذي لا يقبل ال شك والنكران على أن النبي صلى الله عليه و سلم مات و لم يعهد بالخلافة ن صًّا لأحد، والأدلة على هذا كثيرة؛ منها ما أخرجه البخاري ومسلم عن طلحة بن مصرف قال: سألت عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما: هل كان النبي صلى الله عليه و سلم أوصى؟ فقال: لا. فقلت: كيف كتب على الناس الوصية؟ –أو أُمروا بالوصية– قال: أوصى بكتاب الله.

قال الحافظ في (الفتح): "هكذا أطلق الجواب، وكأنه فَهِمَ أن السؤال وقع عن وصية خاصة؛ فلذلك ساغ نفيها، لا أنه أراد نفي الو صية مطلقًا؛ لأنه أثبت بعد ذلك أنه أو صى بكتاب الله" ثم قال: "ويحتمل أن يكون المنفيّ وصـــيته إلى علي بالخلافة كما وقع التصـــريح به في حديث عائ شة الذي بعده. ويؤيّده ما وقع في رواية الدارمي عن محمد بن يو سف شيخ

البخاري فيه، وكذلك عند ابن ماجه، وأبي عوانة في آخر حديث الباب؛ قال طلحة: فقال هزيل بن شرحبيل: "أبو بكر كان يتأَمَّرُ على وصيّ رسول الله، ودَّ أبو بكر أنه كان وجد عهدًا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فخزم أنفه بخزام".

وهزيل هذا؛ بالزاي مصغرًا، أحد كبار التابعين، ومن صغار أهل الكوفة؛ فدلَّ هذا على أنه كان في الحديث قرينة تشعر بتخصيص السؤال بالوصية بالخلافة ونحو ذلك، لا مطلق الوصية.

وأخرج البخاري ومسلم عن إبراهيم بن الأسود قال: ذكروا عند عائشة أن عليًّا رضي الله عنه كان وصيًّا، فقالت: متى أوصى إليه؟ فقد كنت مسندته إلى صدري -أو قالت: حجري- فدعَا بالطست، فلقد انخنث في حجري، وما شعرت أنه مات، فمتى أوصى إليه؟!

وأخرج مسلم عن عائشة أيضًا قالت: ((ما تركَ رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارًا، ولا درهمًا، ولا شاةً، ولا بعيرًا، ولا أوصى بشيء)).

قال القرطبي في (المفهم): "وأما قول عائشة رضي الله عنه: ما أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء. فإنها أرادت في شيء من أمر الخلافة؛ بدليل الحديث المذكور، ثانيًا: أنهم لما ذكروا أن عليًّا كان وصيًّا، قالت: ومتى أوصى إليه؟! وذكرت الحديث.

وقد أكثرت الشيعة والروافض من الأحاديث الباطلة الكاذبة، واخترعوا نصوصًا على استخلاف النبي صلى الله عليه وسلم عليًّا، وادَّعوا أنها تواترت عندهم. وهذا كله كذبٌ مركبٌ. ولو كان شيء من ذلك صحيحًا، أو معروفًا عند الصحابة يوم السقيفة لذكروه، ولرجعُوا إليه، ولذكره علي محتجًّا لنفسِهِ، ولما حل أن يسكت عن مثل ذلك بوجه؛ فإنه حق الله، وحق نبيه صلى الله عليه وسلم وحقه، وحق المسلمين.

ثم ما يعلم من عظيم علم علي رضي الله عنه وصلابته في الدين، وشجاعته يقتضي ألا يتقي أحدًا في دين الله، كما لم يتقّ معاوية، وأهل الشـــام حين خالفوه، ثم إنه لما قُتِلَ عثمان ولَّى المسلمون باجتهادهم عليًّا، ولم يذكر هو، ولا أحد منهم نصًّا في ذلك. فعلم قطعًا كذب من ادعاه. وما التوفيق إلا من عند الله".

وقال أبو نعيم في (الإمامة): "ففي هذه الأخبار الثابتة إبطال لما ادَّعاه من اختصـــاص علي

رضي الله عنه بوصيتِهِ، وعهده من دون المسلمين كافة. ولقد سُئِلَ علي رضي الله عنه فيما رواه عنه أبو جحيفة وغيره: هل خصَّك رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء؟ فقال: ما هو إلا كتابُ الله، أو فهم يؤتيه الله من شاء في الكتاب". انتهى. أخرجه البخاري، وغيره.

وأخرج البخاري أيضًا عن عبد الله بن عباس أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجعه الذي توفي فيه، فقال الناس: يا أبا الحسن، كيف أصبحَ رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: أصبح بحمد الله بارئًا، فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب، فقال له: أنت والله بعد ثلاثٍ عبد العصا، وإني والله لأرى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سوف يُتَوفَّى من وجعه هذا؛ إني لأعرف وجوهَ بني عبد المطلب عند الموت، اذهب بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلنسأله فيمن هذا الأمر؟ إن كان فينا علمنا ذلك. وإن كان في غيرنا علمناه فأوصى بنا. فقال علي: إنا والله لئن سألناها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده، وإني والله لا أسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقوله: "وأنت والله بعد ثلاث عبد العصـــا" هو كناية عمن يكون تابعًا لغيره، والمعنى أنه يموت بعد ثلاث، وتصير أنت مأمورًا عليك. وهذا من قوة فراسة العباس رضي الله عنه ".

ومن الأدلة التي احتجوا بها على دعواهم هذه قول الله تعالى: إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ [المائدة: 55]، وبحديث: ((اللهمَّ وَالِ من والاه، وعادِ من عَادَاه))، وبقوله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه: ((أنت مني بمنزلة هارون من موسى)).

أولًا: أنه لا يوجد في شيءٍ من هذه النصوص ما يدل على الإمامة، فضلًا عن تقديم علي رضي الله عنه على غيره فيها، بل كلام أكثر المفسرين على أنها لم تنزل في علي رضي الله عنه بل ما روي في ذلك من قصة التصدق بالخاتم ضعيف.

ثانيًا: أن الإمامة على اعتبارها ركنًا من أركان الدين، وأنها بمنزلة الشهادتين عندهم، بحيث إن من لم يقمها يعتبر كافرًا، ومع هذا لا يوجد لها ذكر في القرآن الكريم، كما ذكرت الصلاة والزكاة والصوم والحج. فإذا كانت الإمامة من أركان الدين فلماذا لم يذكرها الله

في كتابه؟ وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ [البقرة: 111].

ثالثًا: وفي هذا المقام يلزم الشيعة الروافض حالان، إما أن يقرُّوا بأنه لا وجود لأمر الإمامة المزعومة لديهم في القرآن الكريم، أو أن يعترفوا بأن القرآن محرَّف، حُذفت منه النصوص الدالة على إمامة علي، وهذا قول أئمتهم كما هو معلوم مشهور عنهم.

رابعًا: يقال أيضًا: إذا كان علي رضي الله عنه فهم من النصوص التي يوردونها أنها دالة على الإمامة، فلماذا لم يُطَالب بها؟! وهو من هو في شجاعته وصدعه بالحق؛ لا سيما أن الإمامة مما لا يسع تركه والتغاضي عنه مثلها مثل سائر الأركان كالصلاة والزكاة، والصوم والحج كما يزعم الشيعةُ الروافض، فإن هو علم بالنص، ولم يعمل به، فإنه يكون قد ترك ركنًا من أركان الدين، فيكون كافرًا على أصولهم. وأما إذا ادعيتم أنه كان جاهلًا بالنص، فلا يجوز أن يقود الأمة جاهل؛ لا سيما فيما تعلق بركن من أركان الدين على حدِّ زعمكم.

فإن زعمتم أنه ترك ذلك خشية الفتنة، وسكت عن ركن من أركان الدين فلا أقلَّ من أن يكون منافقًا مداهنًا محابيًا في الحق، فكيف يؤتمن على سائر أركان الدين؟!

وعلي رضي الله عنه كان مع الخلفاء الثلاثة الذين سبقوه مدة أربع وعشرين سنة، ولم تحدّثه نفسه قط بأن يستولي على الحكم إبان خلافتهم مع أنه كان يستخلف على المدينة أحيانًا عند غيابهم.

العنصر الرابع: أهل السنة وسط في الصحابة بين الإفراط والتفريط

تمهيد عن التعريف بأهل السنة

عرفنا فيما تقدم موقف الخوارج والشيعة الروافض من الصحابة الكرام رضي الله عنهم وتبيَّن لنا مدى بُعْدِهِم عن الاعتدال في هذا الباب، وجنوحهم إلى طرفي الإفراط والتفريط.

وعليه فمن رام الاعتدال، وقصد الحقَّ فعليه بمن أثنى الله -تعالى- على دينهم وعلمهم، وجعلهم خيرَ الناسِ عبر القرون، فأهلُ السنة أتباع السلف الصالح لم يختلفْ قولُهُم في هذا الباب، ولم يظهر عليه تفاوت ولا اضطراب؛ فهو مستمدٌّ من الأصول الثابتة كتاب الله -تعالى- وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

و سنعرض بعض أقوالهم التي تبين تو سطهم واعتدالهم واقتصادهم في ذلك. قال الإمام أحمد في بيان عقيدة أهل السنة في الصحابة رضي الله عنهم: "من السنة: ذكر محاسن أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم كلهم أجمعين، والكف عن الذي شجر بينهم، فمن سبَّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو واحدًا فهو مبتدع رافضي. حبهم سنة، والدعاء لهم قربى، والاقتداء بهم وسيلة، والأخذ بآرائهم فضيلة.

وخير هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم: أبو بكر، وخيرهم بعد أبي بكر عمر، وخيرهم بعد عمر عثمان، وخيرهم بعد عثمان علي رضي الله عنه خلفاء راشدون مهديون. ثم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بعد هؤلاء الأربعة لا يجوز لأحد منهم أن يذكر شيئًا من مساويهم، ولا يطعن على أحد منهم، فمن فعل ذلك؛ فقد وجب على السلطان تأديبه وعقابه، وليس له أن يعفو عنه، بل يعاقبه، ثم يستتيبه؛ فإن تاب قبل منه، وإن لم يتب أعاد عليه العقوبة وجلده حتى يتوب ويُرَاجع".

وقال الإمام الطحاوي في (عقيدته): "ونحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان".

ونثبت الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم أولًا لأبي بكر الصديق رضي الله عنه تفضيلًا له وتقديمًا على جميع الأمة، ثم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم لعثمان رضي الله عنه ثم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهتدون.

وإن العشرة الذين سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبشرهم بالجنة نشهد لهم بالجنة، على ما شهد لهم رسول الله صلى الله عليه و سلم وقوله الحق، وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، و سعد، و سعيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح؛ وهو أمين هذه الأمة رضي الله عنهم.

ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه الطاهرات من كل دنس وذرياته المقدسين من كل رجس؛ فقد برئ من النفاق". انتهى كلامه

وبناء على أقوالهم تتجلى و سطية أهلِ السنة، ويبرز اعتدالهم واقتصادهم من خلال النقاط

التالية:

1. أنهم لم يكفروا أحدًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، في حين أن كلًّا من الخوارج والشيعة الروافض كفروا أو فسقوا طوائفَ منهم، كما تقدم. كما أن أهل السنة يتولون جميع الصحابة، ولا يتبرءون من أحد منهم.
2. أنهم يترضون عن جميع الصحابة، ويترحمون عليهم، ويستغفرون لهم كما أمر الله، ولا يسبون ولا يشتمون أحدًا منهم. بينما كل من الخوارج والشيعة الروافض، لا يترضون عن الجميع، ولا يترحمون، ولا يستغفرون لطوائف من الصحابة، ولبعضهم فيهم سبٌّ وشتم ونسبة إلى الجهل والظلم والفسق كما تقدم.
3. أنهم يشهدون ويعتقدون أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خير خلقِ الله بعد الأنبياء، وأن خيرهم: الخلفاء الأربعة الراشدون فيما يطعن كل من أهل الإفراط والتفريط في كثيرٍ منهم، ويعدون بعضهم شرَّ هذه الأمة كما تقدم.
4. أنهم لم يغلوا في علي رضي الله عنه غلوَّ الشيعة الروافض؛ فلم يرفعوه إلى مقام الألوهية أو النبوة أو العصمة أو نحو ذلك، كما فعل طوائف الشيعة الروافض. ولم يكفروه أو يفسقوه ويردوا شهادته كما فعل الخوارج.
5. أنهم لا يعتقدون العصمةَ لأحد من الصحابة، بل يعتقدون أنهم بشرٌ يقع منهم من الذنوب ما يقع من غيرهم، ومع ذلك لا يشنعون عليهم بذنب، بل يلتمسون لهم المخارج، ويحملونهم على أجمل المحامل.

وأهل البدعة: يعتقد بعضهم العصمة لعلي رضي الله عنه وللأئمة من أهل بيته وأنه لا يقع منهم ذنب عمدًا، ولا خطأ، ولا سهوًا. ويعتقدون في بعض الصحابة وقوع الكفر والفسوق والنفاق والردة منهم، وارتكاب المظالم والكبائر، وينسبونهم إلى الزندقة.

هذه بعض مظاهر وسطية أهل السنة والجماعة في هذا الباب، على أن قولهم وفعلهم واعتقادهم لا يخرج عن حد القصد والاعتدال بأي حال.

الدرس الثالث عشر: اعتقاد أهل السنة والجماعة في الصحابة (1).

العنصر الأول: تعريف الصحابي مع ذكر الأدلة على عدالته

العنصر الثاني: أوصاف الصحابة في القرآن

العنصر الثالث: موقف المؤمنين من الصحابة

العنصر الرابع: فضائل الصحابة ومراتبهم وتفاضلهم

العنصر الأول: تعريف الصحابي مع ذكر الأدلة على عدالته

فاعلم -رحمك الله- أن عقيدة أهل السنة في الصحابة رضي الله عنهم أنهم أصحاب خير خلق الله، وأرضى الخلق عند الله بعد أنبياء الله، هم السلف، السابق بالإيمان، وهم أهل مرضاة الرحمن، محبتهم طاعة وإيمان، وبغضهم نفاق وطغيان، أبرُ هذه الأمة قلوبًا، وأرسخهم إيمانًا، وأعمقهم علمًا، وأقلهم تكلفًا، في الصحبة والنصرة سبقوا سبقًا بعيدًا، وبتزكية الله ورسوله لهم بلغوا شأنًا عظيمًا، أعلاهم قدرًا، وأكثرهم أجرًا، وأثقلهم ميزانًا، الصديق الأكبر، ثم الفاروق الأشهر، وعلى هذا إجماع المؤمنين من الصحابة والتابعين، ثم ذي النورين عثمان، ثم على أول مَن آمَن مِن الغلمان علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وهم الخلفاء الأربعة الراشدون، وهم الأئمة المهديون، ومن بعدهم باقي العشرة المبشرين، ومن وراءهم السابقون الأولون من المهاجرين الأبرار، ثم من الأنصـــار الأخيار، ثم أهل بدر أهل الأجر ومغفرة الوزر، ثم أهل أحد الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح والجهد، ثم أهل بيعة الرضوان الذين حُرِّموا على النيران، ثم مَن آمَن من قبل الفتح وأنفق وهاجر وجاهد، ثم من آمن من بعد الفتح وأنفق وجاهد، وكلًّا وعد الله الحسنى.

فَفَرْضٌ على كل مسلم محبتهم، والترضي عن جميعهم، وبغض مَن يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، وكما هم في الفضل متفاوتون فهم في الحب متفاضلون، ويتعين الاقتداء بهم والاهتداء بهديهم دون غلو في أقدراهم فليسوا بمعصومين، أو تنقص لمنزلتهم فليسوا كآحاد المؤمنين، ويجب الكف عن ما شجر بينهم، والدعاء والاستغفار لهم، فلا يذكرون إلا بالجميل، ومَن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل، وقد تعرض للعقاب الوبيل.

تعريف الصحابي مع ذكر الأدلة على عدالته:

تعريف الصحابي: يقول الحافظ ابن حجر: "وأصح ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابي: مَن لقي النبي صلي الله عليه وسلم مؤمنًا به، ومات على الإسلام" فمن هذا التعريف يتبين لنا أن شروط اعتبار الشخص صحابيًّا هي:

1. لقيا النبي صلي الله عليه وسلم.
2. أن يكون مؤمنًا به حين لقياه به.
3. أن يكون قد مات على الإسلام.

فاشتراط لقيا النبي صلي الله عليه وسلم يدخل فيه مَن طالت مجالسته له أو قصرت، ومَن روى عنه أو لم يروِ عنه، ومن غَزَا معه أو لم يغزو، ومَن رآه ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى.

ويخرج باشتراط الإيمان به مَن لقيه كافرًا ولو أسلم بعد ذلك إذا لم يجتمع به مرة أخرى، ويخرج باشتراط أن يكون مات على الإسلام من لقيه مؤمنًا به، ثم ارتد ومات على ردته -والعياذ بالله- وقد وجد من ذلك عدد يسير كعبيد الله بن جحش الذي كان زوجًا لأم حبيبة رضي الله عنها فإنه أسلم معها وهاجر إلى الحبشة، فتنصر هناك ومات على نصرانيته، وكعبد الله بن أخطل الذي قتل وهو متعلق بأستار الكعبة.

أما من ارتد وعاد إلى الإسلام قبل أن يموت سواء اجتمع بالرسول صلي الله عليه و سلم مرة أخرى أو لا، فهو صحابي، فقد أطبق أهل الحديث على عبد الأشعث بن قيس في الصحابة، وعلى تخريج أحاديثه في الصحاح والمسانيد، وهو ممن ارتد ثم عاد إلى الإسلام في خلافة أبي بكر رضي الله عنه.

عدالة الصحابة:

والمقصود بالعدالة: سلامة الدين من الفسق، والمروءة من القوادح، وعرفها بعضهم: بأنها هيئة راسخة في النفس تحمل على ملازمة التقوى والمروءة جميعًا، حتى تحصل ثقة النفوس بصدقه.

يقول الحافظ ابن حجر: "اتفق أهل السنة على أن الجميع عُدُولٌ، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة، وقد ذكر الخطيب في (الكفاية) فصلًا نفيسًا في ذلك، فقال: عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم، وإخباره عن طهارتهم، واختياره لهم، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 110] وقوله ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: 143] وقوله سبحانه: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: 18] وقوله ﷻ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: 100] وقوله سبحانه: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر: 8].

وآيات كثيرة يطول ذكرها، وأحاديث شهيرة يكثر تِعدادها، وجميع ذلك يقتضي القطع بتعديلهم، ولا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله له إلى تعديل أحد من الخلق، على أنه لو لم يرد من الله ورسوله فيهم شيء مما ذكرنا، لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد ونصرة الإسلام، وبذل المهج والأموال، وقتل الآباء والأبناء، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين، القطع بتعديلهم، والاعتقاد لنزاهتهم، وأنهم كافةً أفضل من جميع الخالفين بعدهم والمعدلين الذي يجيئون من بعدهم. وهذا مذهب كافة العلماء ومن يعتمد قوله".

ثم روى بـ سنده إلى أبي زرعة الرازي، قال: "إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أ صحاب ر سول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الر سول صلي الله عليه و سلم حق، والقرآن حق، وما جاء به حق، وإنما أدى إلينا ذلك كله الصحابة، وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا؛ ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة".

وقال في موضع آخر: "والأحاديث الواردة في فضل الصحابة كثيرة، ومن أدلها على المقصود ما رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه من حديث عبد الله بن مغفل قال: قال ر سول الله ﷺ: ((الله الله في أ صحابي، لا تتخذوهم غر ضًا، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغ ضهم فببغ ضي أبغ ضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك الله أن يؤخذه))".

وقال أبو محمد بن حزم: "الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعًا، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الحديد: 10] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الأنبياء: 101].

العنصر الثاني: أوصاف الصحابة في القرآن

- هم المؤمنون حقًّا: قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ } [الأنفال: 74].

- هم الرا شدون: قال تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾ [الحجرات: 7].

- هم الفائزون: قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [التوبة: 20].

- هم الصادقون: قال الله تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الحشر: 8].

- هم الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه: قال -عز من قائل-: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة: 100].

- هم أهل التوبة والرحمة: قال تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [التوبة: 117].

- هم المبشرون من ربهم: بقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [التوبة: 20 - 21].

- هم خيرُ أمةٍ أخرجت للناس: قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: 110] وفي صحابة رسول الله [] نزلت.

- هم أهل التقوى: قال الله تعالى: ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الفتح: 26].

- هم غيظ الكفار: كما وصفهم ربهم - جل وعلا-: ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ [الفتح: 29].

العنصر الثالث: موقف المؤمنين من الصحابة

اعتقاد إمامتهم في الدين، وقبول ما أثنى به الله عليهم في القرآن المبين:

قال الله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: 110] كما قال -عز من قائل-: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: 143] والوسط بمعنى الخيار والأجود أي: جعلناكم خيار الأمم لتكونوا يوم القيامة شهداءَ على الناس، ودخول الصحابة في ذلك دخول أولي؛ لأنهم أول مَن خُوطِبَ بهذه الآية، وقال الله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: 55].

فقد وعد الله بالاستخلاف والتمكين والأمن مَن آمَن وعمل الصالحات، وعبد الله و لم يشرك به شيئًا، والصحابة هم المعنيون في المقام الأول بذلك بدلالة قوله تعالى: ﴿مِنكُمْ﴾ وقد صدقهم الله وعده، وفتح على أيديهم مشارق الأرض ومغاربها، وجعلهم الخلفاء والأئمة، فثبتت بذلك إمامتهم في الدين، وصح بذلك أنهم هم المؤمنون والصالحون.

اتباعهم بإحسان:

فقد أثنى الله على السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وعلى كل من تبعهم بإحسان، فجعل اتباعهم بإحسان سبيلًا إلى مرضاته ورضوانه، قال الله تعالى كما في الآية السابقة ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: 101].

الثناء والترضي عليهم:

هو الاستغفار لهم قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: 10].

الإمساك عما شجر بينهم:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في مَعْرِض بيانه لمعتقد أهل السنة والجماعة في الصحابة: "ويمسكون عما شجر بين الصحابة، ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كذب، ومنها ما قد زيد فيه ونقص، وغُيِّر عن وجه، والصحيح منه هم فيه معذورون، إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون".

عدم اعتقاد العصمة لأحد منهم:

فلا عصمةَ لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وهم -أي: أهل السنة والجماعة- مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره، بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر، حتى إنهم يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم؛ لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم، وقد ثبت عن رسول

الله صلى الله عليه وسلم أنهم خيرُ القرون، وأن المُد من أحدهم إذا تصدق به كان أفضلَ من جبل أحد ذهبًا ممن بعدهم.

ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه، أو أتى بحسنات تمحوه، أو غفر له بفضل سابقته، أو بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم الذين هم أحق الناس بشفاعته، أو ابتلي ببلاء في الدنيا كُفِّر به عنه، فإذا كان هذا في الذنوب المحققة فكيف الأمور التي كانوا فيها مجتهدين، إن أصابوا فلهم أجران، وإن أخطئوا لهم أجر واحد، والخطأ مغفور.

ثم القدر الذي ينكر من فعلهم قليل نذر مغمور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم والجهاد في سبيله، والهجرة والنصرة، والعلم النافع، والعمل الصالح، ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرةٍ وما مَنَّ الله عليهم به من الفضائل، علم يقينًا أنهم خَيْرُ الخلقِ بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلَهم، وأنهم الصفوةُ من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم، وأكرمها على الله -جل وعلا.

العنصر الرابع: فضائل الصحابة ومراتبهم وتفاضلهم

الفضائل:

جمع فضيلة، وهو ما يفضل به المرء، ويعد مَنقبةً له، والمراتب: هي الدرجات، فأهل السنة والجماعة يقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع من فضائل الصحابة ومراتبهم.

من ذلك: ما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره من أن: "خير هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم".

وقد أجمع الصحابة على تقديم عثمان على علي في البيعة، مع أن بعض أهل السنة كان قد اختلفوا في عثمان وعلي رضي الله عنهم بعد اتفاقهم على أبي بكر وعمر، أيهما أفضل؟ فقدم قوم عثمانَ وسكتوا، أو ربعوا بعلي، وقدم قوم عليًّا، وقوم توقفوا، لكن استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمانَ ثم علي.

وإن كانت هذه المسألة -مسألة تقديم عثمان على علي- ليست من الأصول التي يضلل المخالِف فيها عند جمهور أهل السنة والجماعة، لكن التي يضلل فيها مسألة الخلافة، وذلك أنهم يؤمنون أن الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، ومَن طعن في خلافة أحد من هؤلاء، فهو أضل من حمار أهله.

كما أن أهل السنة والجماعة يفضلون مَن أنفق من قبل الفتح –وهو صلح الحديبية– وقاتل على من أنفق من بعد وقاتل؛ لقوله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ فالذين أنفقوا قبل صلح الحديبية وقاتلوا أفضلُ من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا، وكان صلح الحديبية في السنة السادسة من الهجرة.

ويقدمون المهاجرين على الأنصار؛ لأن المهاجرين جمعوا بين الهجرة والنصرة، وكلًّا قد رضي الله عنهم قال الله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ الآية. وقال الله تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ الآية. وقال تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الحشر: 8].

وأن أهل بدر مَرْتبتهم من أعلى مراتب الصحابة، وقد قال الله تعالى لأهل بدر –وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر–: ((اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم)) متفق عليه.

وفي هذا الحديث دليل على أن ما يقع منهم من الكبائر مهما عظم، فهو مغفورٌ لهم، وفيه بشارة بأنهم لا يمكن أن يموتوا على الكفر؛ لأنهم مغفور لهم، وهذا يقتضي أحد أمرين؛ إما أنهم لا يمكن أن يكفروا بعد ذلك، وإما أنهم إن قُدِّر أن أحدهم كفر فسيوفق للتوبة والرجوع إلى الإسلام، وأيًّا كان ففيه بشارة عظيمة لهم، وأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: ((لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها)).

وأصحاب الشجرة هم أصحاب بيعة الرضوان، وكانوا أكثر من ألف وربعمائة.

ويشهد أهل السنة والجماعة بالجنة لمن شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك والشهادة بالجنة نوعان:

– شهادة معلقة بوصف: وهي الشهادة لكل مؤمن أنه في الجنة، وأن كل المتقين في الجنة بدون تعيين شخص، وهذه شهادة عامة يجب علينا أن نشهد بها؛ لأن الله تعالى أخبر بذلك، حيث قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [البينة: 7، 8] وقال الله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [آل عمران: 133].

– وشهادة معلقة بشخص معين: وهي الشهادة لمؤمن بعينه أنه من أهل الجنة، وهذه الشهادة لا تجوز إلا لِمَن شهِدَ له رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك.

من أولئك:

1. العشرة المبشرون بالجنة، وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وسعيد بن زيد، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم وسموا بالعشرة المبشرين بالجنة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم بشرهم بالجنة في نسق واحد، فقال: ((أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة...)) وذكر الحديث.

2. وثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه وكان أحدَ خطباء النبي صلى الله عليه وسلم وكان جهوري الصوت، فلما نزل قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾ [الحجرات: 2] فخاف أن يكون حبط عمله وهو لا يشعر، فاختفى في بيته، ففقده النبي صلى الله عليه وسلم فبعث إليه رجلًا يسأله، فقال: إن الله أنزل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ وأخاف أن يكون حبط عملي وأنا لا أشعر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ارجعْ إليه وقل له: لا، إنك تعيش حميدًا، وتقتل شهيدًا، وتدخل الجنة)) فبشره النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة. متفق عليه.

3. خديجة رضي الله عنها التي قال جبريل: ((إن الله يبشرها ببيتٍ في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب)) متفق عليه.

4. سائر أمهات المؤمنين في الجنة؛ لأنهن في درجة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

5. كذلك بلال، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أُريت الجنة، فرأيت امرأة أبي طلحة، وسمعت خشخشةَ بلال)).

6. وعبد الله بن سلام الذي قال فيه سعد بن أبي وقاص: ((ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة، إلا لعبد الله بن سلام، قال: وفيه نزلت: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرۡتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأحقاف: 10] متفق عليه.

7. وعكاشة بن محصن الذي دعا له النبي صلى الله عليه وسلم من السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة.

8. وسعد بن معاذ، فقد جاء في حديث البراء: أهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم حُلة من حرير، فجعل أصحابه يمسونها ويعجبون من لينها، فقال: ((أتعجبون من لين هذه؟ لمناديل سعد في الجنة خيرٌ من هذه وألينُ)) متفق عليه.

وهكذا، ففضل الصحابة رضي الله عنهم أكثر من أن يعد ومن أن يحصى، والمصيبة تكمن فيما وقع فيه النواصب، أو ما وقع فيه الخوارج والرافضة في نظرتهم إلى الصحابة رضي الله عنهم بالاتهام، بل حين زعموا تكفيرهم وتكفير الخلفاء الراشدين باستثناء علي، ولم يستثن الخوارج عليًّا، أو أن الخوارج كفروا عثمانَ وعليًّا، والشيعة كفروا أبا بكر وعمر وعثمان وسائرَ الصحابة إلا مَن استثنوهم ممن سبق الكلام عنهم، والخوارج أيضًا كفروا معاوية والحكمين ومَن رضي بالتحكيم من الصحابة، ثم عمموا الحكم على سائر الصحابة، لكنهم قالوا بمولاة أبي بكر وعمر رضي الله عنهم وهم في هذا على خلاف الروافض.

هذا، وما رضيت اليهود ولا النصارى في أصحاب موسى وعيسى -عليهما السلام- ما رضيت الخوارج والروافض في أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حين حكموا عليهم بأنهم قد اتفقوا على الكفر والباطل، فما يرجى من هؤلاء، وما يستبقَى من أولئك؟ كيف يترضَّى الله عزوجل عنهم رضي الله عنهم ورضوا عنه- وبعد هذا الرضا من الله عزوجل نجد الخوارج والرافضة يلعنون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكفرونهم، أليس ذلك تكذيبًا واضحًا لله عزوجل ومُشاقةً لله ولرسوله؟ كيف يعدهم الله عزوجل بالنصر والتمكين والاستخلاف والأمن وقد نفذ وعده فيهم، على أنهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فإذا لم ينفذ هذا الوعد في الخلفاء فلِمَن ينفذ؟ وإذا لم يكن فيهم وفي سائر الصحابة ففيمن يكون هذا الوعد؟

والدليل عليه انعقاد الإجماع أنه لن يتقدمهم في الفضـــيلة أحد إلى يومنا هذا، وما بعدهم مختلف فيه، وأولئك مقطوع بهم، متيقن إمامتهم، ثابت نفوذ وعد الله لهم، فإنهم ذبوا عن حوزة المسلمين، وقاموا بسياسية الدين، ومن بعدهم تبع لهم من الأئمة الذين أركان الملة، ودعائم الشريعة، الناصحون لعباد الله، الهادون من استرشد إلى الله.

كيف يحق للرافضة والخوارج وغيرهم تكفير الصحابة رضي الله عنهم وزعمهم بأنهم كانوا أحرص الناس على الدنيا، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((لو أنفق أحدكم مثل جبل أحد ذهبًا -وفي رواية: كل يوم مثل أحد ذهبًا- ما بلغ مُد أحدِهم ولا نصيفه)) وكيف يعِد النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه العشرة المبشرين بالجنة وعلى رأسهم الخلفاء الأربعة، ويأتي الخوارج أو الروافض فيتبرون منهم، ويلعنونهم، ويكفرونهم أيضًا؟ أليس هذا تكذيبًا واضحًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

هذا، وكم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بمناقب جمة، وشهد له بالجنة على بلوى تصيبه، وزوَّجه بابنتيه، وسمي بذي النورين، وكذا علي رضي الله عنه والذي زوجه النبي صلى الله عليه وسلم ابنته الأسيرة إلى نفسه فاطمة الزهراء رضي الله عنها وبعد هذا نجد المبغضين لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفضونه، يرفضون ذلك وينكرونه، وكأنهم يكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهادته.

هذا، ونذكر بالأثر الوارد عن الـ صحابي الجليل جابر بن عبد الله ر ضي الله عنهما إذ قال: "إذا لعن آخر هذه الأمة أولها، فمَن كان عنده علم فليظهره، فإن كاتم العلم يومئذٍ ككاتم ما أنزل الله على محمد صـــلى الله عليه وسلم ".

ونحن المسلمين لا نعتقد العصمة لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل مَن ادعى العصمة لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم فهو كاذب، فالإنسان إنسان يصدر عنه ما يصدر عن الإنسان، فيكون منه الحق والخير، ويكون منه الباطل والشر، وقد يكون الحق والخير في إنسان بنطاق وا سع، فيُعد من أهل الحق والخير، ولا يمنع هذا من أن تكون له هَفوات، وقد يكون الباطل والشر في إنسان آخر بنطاق وا سع، فيعد من أهل الباطل والشر، ولا يمنع هذا من أن تبدر منه بوادر صالحات في بعض الأوقات.

ويجب على مَن يتحدث عن أهل الحق والخير إذا علم لهم هفوات ألا يـ سيء ما غلب عليهم من الحق والخير، فلا يكفر ذلك كله من أجل تلك الهفوات، ويجب على من يتحدث عن أهل الباطل والـ شر إذا علم لهم بوادر صالحات، أن لا يوهم الناس أنهم من الصالحين من أجل تلك الشوارد الشاذة من أعمالهم الصالحات.

إن أحداث المائة الأولى من ع صور الإ سلام كانت من معجزات التاريخ، والعمل الذي عمله أهل المائة الأولى من ماضينا السعيد لم تعمل مثله أمة الرومان ولا أمة اليونان قبلها، ولا أمة من أمم الأرض بعدها.

أما أبو بكر وعمر و سائر الخلفاء الأربعة الرا شدين وإخوانهم من العـ شرة المبـ شرين بالجنة، وطبقاتهم من أ صحاب ر سول الله صلى الله عليه و سلم خصوصًا الذين لازموه وراقبوه، وتمتعوا بجميل صحبته، من أنفق منهم من قبل الفتح وقاتل، والذين أنفقوا من بعد وقاتلوا، فإنهم جميعًا كانوا شمو ًسا، طلعت في سماء الإنـ سانية مرةً، ولا تطمع الإنســـانية بأن يطلع في سمائها شموس من طرازهم مرة أخرى، إلا إذا عزم المســـلمون على أن يرجعوا إلى فترة الإ سلام، ويتأدبوا بأدبه من جديد، فيخلق الله منهم خلقًا آخرَ، يعيش للحق والخير، ويجاهد الباطل والـ شر، حتى تعرف الإنسانية طريقها الحقيقي إلى السعادة.

وهذه الشموس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تتفاوت أقدارها، وتتباين في أنواع فضائلها، إلا أنها كلها كانت من الفضائل في مرتقى درجاتها.

هذا ومَن وقف على صحيح التاريخ وعرف تاريخ هؤلاء الأفا ضل من المسلمين، وميز بين الأ صيل والدخيل من سيرة هؤلاء العظماء، فإنه ستأخذه الدهشة لِمَا اخترعه إخوان أبي لؤلؤة، وتلاميذ عبد الله بن سبأ، والمجوس الذين عجزوا عن مقاومة الإ سلام وجهًا لوجه في قتال شريف، فادعوا الإ سلام كذبًا، وأدخلوا على الإ سلام ما ليس منه، ودخلوا قلعته

مع جنوده خِلسةً، وقاتلوهم وفرقوا كلمتهم، وألصقوا بسيرة رجاله ما لم يكن فيها، ولا من سجية أهلها، وبهذا تحولت أعظم رســـالات الله وأكملها إلى طريقة من الخمول والجمود والفرقة والاقتتال والاتهام والتكفير، كان من الممكن أن تقتل الإ سلام والم سلمين قتلًا، لولا ما أودع الله في الإ سلام من قوة ذاتية خارقة، وهي التي يرجَى إذا رجعنا إلى ديننا، وخلصنا سيرة رجالها من ما شِيبت به، و سرنا في طريقهم مخلصين، أن نعود إلى عزنا المفقود، وما ضينا التليد، ومجدنا السليد؛ لنكون من المتشبهين بخير جيل، وأعظم رعيل على المعنى الذي أراده الله، لا كما أراد مبغضو الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

ونحن إذ نذكر هذه الحقائق، إنما نريد أن نذكر عكس ما أراده المغرضـــون من ترديد خلافات عَفَا عليها الزمن، فالصحابة كانوا أسمى أخلاقًا، وأصدق إخلا صًا لله، وترفعًا عن خسائس الدنيا من أن يختلفوا عليها، لكن كان في ع صرهم من الأيدي الخبيثة التي عمِلت على إيجاد الخلاف وتو سيعه، مثل الأيدي الخبيثة التي جاءت فيما بعد فصورت الوقائع بغير صورتها على النحو الذي ذكرناه من قبل.

ولما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم هم قُدوتنا في ديننا، وهم حملةُ الكتاب الإلهي والسنة المحمدية إلى الذين حملوا عنهم أمانتها حتى و صلت إلينا، فإن من حق هذه الأمانات على أمثالنا أن ندرأ عن سيرة حفظتها الأولين كلما أل صق بهم من إفك ظلمًا وعدوانًا؛ لتكون صورتهم التي تُعرض على أنظار الناس هي ال صورةُ النقيةُ الصادقةُ التي كانوا عليها، فتحسن القدوة بهم، وتطمئن النفوس إلى الخير الذي ساقه الله للبشر على أيديهم.

وقد اعتُبِرَ في التشريع الإ سلامي أن الطعن فيهم طعنٌ في الدين الذي هم رواتُه، وتشويه سيرتهم تشويه للأمانة التي حملوها، وت شكيك في جميع الأ سس التي قام عليها كيان الت شريع في هذه الملة الحنيفية ال سمحة، فكيف يتجرأ الخوارج والرافضة على تكفير أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟!

وقد اتفق الفقهاء على أن مَن كَفَّرَ ال صحابةَ } فقد كَفَرَ؛ لأنه كذَّب اللهَ تعالى ور سولَه صلى الله عليه و سلم وأنكر معلومًا من الدين بالضرورة، كيف لا، وقد ذكرت عددًا من الآيات والأحاديث تؤكد هذا المعنى.

وقد اتفق أهل السنة على أن جميع الصحابة عدول والأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا }[البقرة: 143] وقد قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾ [النمل: 59]. قال ابن عباس والثوري والسدي: "هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ".

وقد قال صلى الله عليه و سلم: ((خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)) وقد قال صلى الله عليه وسلم: ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدها)) إلى آخر هذه الآيات والأحاديث.

فكيف يجوز سَبُّ الصحابة رضي الله عنهم فضلًا عن تكفيرهم -عياذًا بك اللهم- وقد سمعتَ الحديث: ((لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مُد أحدهم ولا نصيفه)).

إن الصحابة رضي الله عنهم هم نَقَلةُ هذا الدين، والمجاهدون في سبيل الله، وقد هجروا ملذاتهم وأوطانهم؛ لنشر هذا الدين ورفع رايته، فحقيق على من يتعرض لهم بسوء أن ينال جزاؤه، إذ ذاك من علامة النفاق.

إن الله اصطفى لهذه الأمة خيرَ الرسل، وأنزل عليه خير الكتب، وجعل هذه الأمة خير الأمم، مما يدل على أن الله عزوجل اختار لحمل هذا الدين، وصحبة رسوله صلى الله عليه و سلم خيرَ البشر بعد الأنبياء والمرسلين، وأخبر تعالى عن فضلهم، ومَدَحهم، وأثنى عليهم في عدة آيات، فوصفهم بالإيمانِ، ومدح المهاجرين والأنصار وأهلِ بيعة الرضوان، مما يدل على فضلهم وإيمانهم، فالكتاب لا يخلو وكذلك السنةُ من بيان فضل الصحابة أجمعين رضي الله عنهم.

فعقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة والسلف رضي الله عنهم نحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض مَن يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيان، ونثبت الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم أولًا: لأبي بكر الصديق رضي الله عنه تفضيلًا له وتقديمًا على جميع الأمة، ثم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم لعثمان رضي الله عنه ثم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وهم الخلفاء الراشدون، والأئمة المهديون.

وأن العشرة الذين سماهم رسول الله صلى الله عليه و سلم وبشرهم بالجنة نشهد لهم بالجنة على ما شهد لهم رسول الله صلى الله عليه و سلم ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم وأزواجه الطاهرات، فقد برئ من النفاق، وعلماء السلف لا يُذكرون إلا بالجميل، ومَن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل، كذا قال الطحاوي -رحمه الله تعالى- في عقيدته التي هي عقيدة أهل السنة والجماعة.

نعم، مَن أحسن القولَ في أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم وأزواجه الطاهرات، وذرياته المقدسين من كل رجس، فقد برئ من النفاق، وقد قال صلى الله عليه و سلم: ((تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا؛

كتاب الله وعترتي)) وفي رواية: ((وعترتي أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي)) ثلاثًا. كما قال أبو بكر رضي الله عنه: "ارقبوا محمدًا صلى الله عليه وسلم في أهل بيته".

وقال المصنف -رحمه الله تعالى-: "نحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض مَن يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان".

هذا، وقد أثنى اللهُ عزوجل ورسولُه صلى الله عليه وسلم على الصحابة، ووعدهم بالحسنى في آيات تضمنت الثناء على المهاجرين والأنصار، وعلى الذين جاءوا من بعدهم، وهم يستغفرون لهم، ويسألون الله أن لا يجعل في قلوبهم غلًّا لهم، وتتضمن أن هؤلاء هم المستحقون للفيء، فمَن كان في قلبه غل للذين آمنوا، ولم يستغفر لهم، لم يستحق في الفيء نصيبًا بنص القرآن الكريم.

وفي قول المصنف -رحمه الله-: "ولا نفرط في حب أحد منهم" أي: ألا نتجاوز الحد في حب أحد منهم كما فعلت الشيعة فنكون من المعتدين، وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ [النساء: 171].

وقوله: "ولا نتبرأ من أحد منهم" أي: كما فعلت الروافض، فعندهم لا ولاء إلا ببراء، أي: لا يتولى أحد أهل البيت حتى يبترأ من أبي بكر وعمر، وأهل السنة يوالونهم كلهم، وينزلوهم منازلهم التي يستحقونها بالعدل والإنصاف لا بالهوى والتعصب، وهذا معنى قول بعض السلف من الصحابة والتابعين كأبي سعيد الخدري وإبراهيم النخعي والحسن البصري والضحاك: الشهادة بدعة، والبراءة بدعة، ومعنى الشهادة: أن يشهد على معين من المسلمين أنه من أهل النار أو أنه كافر بدون العلم بما ختم الله له به، فينبغي أن نكون بين الإفراط والتفريط في حب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أي: بالوسطية.

وقد علمتَ أن حب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دين وإيمان؛ لأنه امتثال لأمر الله تعالى وأمرِ رسوله صلى الله عليه وسلم فحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان.

فصحابة النبي صلى الله عليه وسلم هم أفضلُ الناس بعد الأنبياء، وهم خيرُ أمة أخرجت للناس، وقوله تعالى لبني إسرائيل: ﴿وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: 47] المراد زمانهم، وليس على سائر العالمين، فخير الأمم أمةُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم.

وأفضل هذه الأمة أبو بكر الصديق، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم علي المرتضى رضي الله عنهم لما روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: "كنا نقول والنبي صلى الله عليه وسلم حي: أفضل هذه الأمة

بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، فيبلغ ذلك النبي صلى الله عليه و سلم فلا ينكره". و صحت الرواية عن علي رضي الله عنه أنه قال: "خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر، ولو شئتُ لسميت الثالث". وروى أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على أفضل من أبي بكر)) هو أحقُّ خلقِ الله بالخلافة بعد النبي صلى الله عليه وسلم لفضله وسابقته، وتقديم النبي صلى الله عليه وسلم له في الصلاة على جميع الصحابة رضي الله عنهم وإجماع الصحابة على تقديمه ومبايعته، و لم يكن الله ليجمعهم على ضلالة، ثم من بعده عمر رضي الله عنه بفضله وعهد أبي بكر إليه، ثم عثمان رضي الله عنه لتقديم أهل الشورى له، ثم علي رضي الله عنه لفضله، وإجماع أهل عصره عليه. وهؤلاء الخلفاء الراشدون المهديون الذين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم: ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عَضُّوا عليها بالنواجذ)) قال صلى الله عليه وسلم: ((الخلافة بعدي ثلاثون سنةً)) فكان آخرها خلافة علي رضي الله عنه. فهكذا نعتقد في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الدرس الرابع عشر: اعتقاد أهل السنة والجماعة في الصحابة (2).

عناصر الدرس

العنصر الأول: ثناء الله ورسوله -عليه الصلاة والسلام-على الصحابة، ومكانة آل البيت، وفضائلهم

العنصر الثاني: حكم سب الصحابة

العنصر الثالث: حقوق زوجات النبي -عليه الصلاة والسلام-وأسمائهن، وأفضلهن

العنصر الرابع: الخلفاء الراشدون، وبيان فضلهم

العنصر الخامس: فضل أبي بكر وعمر على بقية الخلفاء وترتيبهم في الفضل، وفضل العشرة المبشرين بالجنة

العنصر السادس: مجمل عقيدة الرافضة في الصحابة، وكيف أُحدِثَ الرفض؟

العنصر السابع: وجوب الاتباع والاقتداء بالصحابة، والاعتراف بفضلهم، وجميلهم

العنصر الأول: ثناء الله ورسوله -عليه الصلاة والسلام-على الصحابة، ومكانة آل البيت، وفضائلهم

قد ذكَّرنا بقول الله عزوجل في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفتح: 29].

فأثنى عليهم ربهم، وأحسن الثناء عليهم، ورفع ذكرهم في التوراة والإنجيل والقرآن الكريم، ثم وعدهم المغفرة والأجر العظيم، فقال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ وأخبر في آية أخرى برضاه عنهم ورضاهم عنه، فقال: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ [التوبة: 100] ثم بشرهم بما أعد لهم فقال: ﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: 100].

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعفو عنهم والاستغفار لهم، فقال: ﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ [آل عمران: 159] وأمره بمشاورتهم؛ تطييبًا لقلوبهم، وتنبيهًا لمن بعده من الحكام على المشاورة في الأحكام، فقال: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: 159] وندَبَ مَن جاء بعده من الاستغفار لهم، وألا يجعلوا في قلوبهم غلًا للذين امنوا فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا

بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحشر: 10] إلى آخر الآيات التي ذكرت في هذا المجال.

وأثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم وشبههم بالنجوم، ونبه بذلك أمته على الاقتداء بهم في أمور دينهم، كما يهتدون بالنجوم في ظلمات البر والبحر، وورد في الحديث عن أبي موسى رضي الله عنه قال: ((صلينا مع النبي صلى الله عليه وسلم المغرب، فقلنا: لو انتظرنا حتى نصلي معه العشاء، قال: ففعلنا فخرج إلينا، فقال: ما زلتم ها هنا؟ فقال: نعم يا رسول الله، كنا نصلي معك العشاء قال: أصبتم أو أحسنتم، ثم رفع رأسه إلى السماء، ثم قال: النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتَى أهل السماء ما يوعدَون، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أنا أتَى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون)).

وقد بين صلى الله عليه وسلم في رواية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ((ما من نبي بعثه الله عزوجل في أمة إلا كان له من أمته حواريون، وأصحاب يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره)) ثم إنه صلى الله عليه وسلم شهد بكونهم خيرَ أمته، فقال صلى الله عليه وسلم: ((خير الناس قرني)) وفي بعضها: ((خير أمتي القرن الذي بعثت فيهم)) وفي رواية عمر بن الخطاب: ((أكرموا أصحابي، فإنهم خياركم)) وفي رواية أخرى: ((احفظوني في أصحابي)) وأمر فيما روي عنه بمحبتهم، ونهى عن سبهم، وأخبر أمته بأن أحدًا منهم لا يدرك محلهم ولا يبلغ درجاتهم، وأن الله تعالى غفَرَ لهم، حتى قال صلى الله عليه وسلم: ((لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)).

ولا يبغض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر، وقال في الحديث: ((اللهَ اللهَ في أصحابي لا تتخذوهم غرضًا بعدي، فمَن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه)) وفي حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: ((وما يدريك؟! لعل الله اطَّلع إلى أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد وجبت لكم الجنة)) فاغرورقت عينَا عمر، وقوله صلى الله عليه وسلم: ((لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها)).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: "إن الله -تبارك وتعالى- نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب الناس، فاختار محمدًا صلى الله عليه وسلم فبعثه برسالته، وانتخبه بعلمه، ثم نظر في قلوب الناس بعده، فاختار له أصحابه، فجعلهم أنصار دينه ووزراء نبيه، فما رآه المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن، وما رأوه قبيحًا فهو عند الله قبيح".

وعن الضحاك بن مزاحم قال: أمر الله عزوجل بالاستغفار لهم يعني: لأصحاب محمد صلى الله عليه و سلم وهو يعلم أن سيحدثون ما أحدثوا وعن عمر رضي الله عنه قال: "لا تسبوا أصحاب محمد صلى الله عليه و سلم فإن مقام أحدهم ساعة أفضل من عمل أحدكم عمره".

وقد خص الله ﷻ من بين الصحابة آل بيت رسول الله ﷺ بالفضل، فقال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: 33] وابتدأ الآية في نساء النبي ﷺ وتخيرهن، فلما اخترن الله ورسوله والدار الآخرة، كان لهن ما أعد الله لهن من الأجر العظيم، ثم ميزهن عن نساء العالمين في العذاب والأجر، ثم أبانهن منهم، فقال: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: 32] إلى أن قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وإنما ورد بلفظ "الذكور" لإدخال غيرهن معهن في ذلك.

ثم أضاف البيت إليهن بقوله: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: 34] وجعلهن أمهات المؤمنين فقال –عز من قائل–: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: 6] وحرَّم نكاحهن بعد وفاة نبيه ﷺ فقال: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا﴾ [الأحزاب: 53] وأنزل في براءة عائشة بنت الصديق مما رُميت به في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِىٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [النور: 11].

آيات تتلى في كتاب الله تعالى في مساجد المسلمين، وفي صلواتهم وفي محاربيهم، تكتب في مصاحفهم وألواحهم إلى يوم الدين، وفيها بيان عفة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنه وحصانتها وطهارتها، وكبير إثم من رماها، وعظيم عذابه ولعنه في الدنيا والآخرة، فلعن الله كل مَن يلعن أم المؤمنين عائشة. وكفى لها بذلك شرفًا، ولمن وقع فيها عذابًا معدًّا ولعنًا متتابعًا عاجلًا وآجلًا.

وفي الحديث عن زيد بن أرقم قال: ((قام فينا ذات يوم رسول الله ﷺ خطيبًا فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيبه، وإني تارك فيكم الثقلين؛ أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فاستمسكوا بكتاب الله وخذوا به))، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: ((وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي)) ثلاث مرات. فقال له حصين: يا زيد، مَن أهل بيته أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: بلى، إن نساءه من

أهل بيته، ولكن أهل بيته مَن حرم الصـــدقة بعده، قال: ومَن هم؟ قال: آل علي وآل جعفر وآل العباس، وآل عقيل، فقال: كل هؤلاء يحرم عليهم الصدقة؟ قال: نعم.

قال الشيخ الإمام قد بين زيد بن أرقم أن نساءه من أهل بيته، وأن اسم أهل البيت لكل من النساء تحقيق، وهو متناول للآل، واسم الآل لكل من يحرم الصدقة عليه من أولاد هاشم وأولاد عبد المطلب؛ لقول النبي ﷺ: ((إن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد)) وإعطائه الخمس الذي عوضهم من الصدقة بني هاشم، وبني عبد المطلب، وقال: إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد، وقد يسمي أزواجه الآل لمعنى التشبيه بالنسب، فأراد زيد تخصيص الآل من أهل البيت بالذكر، ولفظ النبي ﷺ في الوصية بهم عام، يتناول الآل والأزواج، وقد أمرنا بالصلاة على جميعهم.

وعن النبي ﷺ قال: ((مَن سره أن يُكال له بالمكيال الأوفَى إذا صلى علينا أهل البيت، فليقل: اللهم صل على محمدًا النبي، وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وآل بيته وأهل بيته، كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد)) قال الشيخ: "وأمر في حديث أبي حميد الساعدي بالصلاة عليه، وعلى أزواجه وذريته، ويحتمل أنه أفردهن بالذكر من جملة أهل البيت على وجه التأكيد، كما أفرد الذرية على وجه التأكيد، ثم رجع إلى التعميم في حديث أبي هريرة؛ ليدخل فيها غير الأزواج والذرية من آله الذين يقع عليهم اسم أهل البيت. والله أعلم.

وفي الحديث عن أم ســـلمة، قالت: ((في بيتي أنزلت: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ك} قالت: فأرسل رسول الله ﷺ إلى فاطمة وعلي والحسن والحسين، فقال: هؤلاء أهلي، قالت: فقلت: يا رسول الله، أما أنا من أهل البيت؟ قال: بلى إن شاء الله)) قال أبو عبد الله: هذا حديث صحيح سنده ثقات رواته، قال الشيخ: وهذا يؤكد ما ذكرنا من دخول آله وأزواجه في أهل بيته، وعلينا محبة جميعهم وموالاتهم في الدين.

وقال الرســـول ﷺ: ((أحبوا الله لما يرزقكم به من نعمة، وأحبوني لحب الله، وأحبوا أهل بيتي لحبي)) وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول على المِنبر: ((ما بال رجال يقولون: إن رحم رسول الله ﷺ لا ينفع قومه يوم القيامة، بلى والله إن رحمي موصولة في الدنيا والآخرة، وإني أيها الناس فرط لكم على الحوض)).

قال الشيخ: وقد روينا في فضائل أهل البيت والصحابة رضي الله عنهم في كتاب "الفضائل" ما ورد فيهما، وفيما روينا عن عائشة عن فاطمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لها: ((ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة أو نساء المؤمنين؟)) وفيما روي عن حذيفةَ وأبي سعيد وغيرهما عن النبي ﷺ أنه قال: ((فاطمة سيدةُ نساء

أهل الجنة)) زاد أحدهما في روايته: ((إلا ما كان من مريم بنت عمران وآ سية بنت مزاحم)) وفي رواية ابن عباس: ((أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم)).

وفي حديث أبي موسى، وأنس بن مالك عن النبي ﷺ ((فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام)) وقال لابنته فاطمة: ((ألستي تحبين ما أحب؟ قالت: بلى، قال: فأحبي هذه؟)) -يعني: عائشة- وقال عمار بن ياسر بمشهد علي ر ضي الله عنهما لمن نال من عائشة: "ا سكت مقبوحًا منبوحًا، تؤذي حبيبةَ ر سول الله ﷺ؟". وقال عمار: "إنها زوجة ر سول الله ﷺ في الدنيا والآخرة" وفي حديث أبي سعيد وغيره عن النبي ﷺ: ((الحـ سن والحـ سين سيدَا شباب أهل الجنة)).

وجميع ذلك مع غيره من فـ ضائلهم قد ذكر في كتاب الفـ ضائل بأ سانيد، من أراد الوقوف عليها رجع إلى كتاب الفضائل أي في كتاب الإمام البيهقي الإمام الحافظ الكبير أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، المتوفى سنة 458 هـ وهذا كلامه في كتابه (الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة).

هذا، وقد عُلمت مكانة أهل بيت النبي ﷺ عند أهل السنة والجماعة، فهم يحبونهم، ويتولونهم، وذلك لأمرين؛ للإيمان وللقرابة من رسول الله ﷺ وأزواج النبي ﷺ من أهل بيته كما نص على ذلك القرآن: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا ﴾ [الأحزاب: 28] إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرًا ﴾ فأهل البيت هنا يدخل فيهم أزواج ر سول الله ﷺ بلا ريبٍ، كذلك يدخل فيه قرابته فاطمة، وعلي والحسن والحسين، وغيرهم كالعباس بن عبد المطلب وأبنائه، ويحفظون فيهم وصية ر سول الله ﷺ حيث قال يوم غدير خم: ((أذكركم الله، أذكركم الله في أهل بيتي)) يعني: اذكروا الله، اذكروا خوفه، وانتقامه إن أضعتم حق آل البيت، واذكروا رحمته وثوابه إن قمتم في حقهم.

وقال ر سول الله ﷺ للعباس عمه، وقد ا شتكى إليه أن بعض قريش يجفو بني ها شم، فقال: ((والذي نفـ سي بيده، لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتي)) وقال ﷺ: ((إن الله اصطفى بني إسماعيل، واصطفى من بني إسماعيل كِنانةَ، واصطفى من كنانة قريشًا، واصطفى من قريش بني ها شم، واصطفاني من بني ها شم)) وهذا دليل على أن بني هاشم مصطفون عند الله، مختارون من خلقه.

العنصر الثاني: حكم سب الصحابة

وقد علم أن منهج أهل الـ سنة والجماعة في الـ صحابة عمومًا، هو محبتهم بالقلب، والثناء عليهم باللـ سان بما أ سدوه من المعروف والإحـ سان، والترحم عليهم والا ستغفار لهم، والكف عن مـ ساوئهم التي إن صدرت عن أحد منهم

فهي قليلة بالنسبة لما لهم من المحاسن والفضائل، وربما تكون صادرة عن اجتهاد مغفور، وعمل معذور، وقد قال ﷺ: ((لا تسبوا أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)) ولكن النواصب – عليهم من الله ما يستحقون– إن كانوا رافضةً أو كانوا خوارجَ، فإنهم يتقربون في دينهم بلعن الصحابة و سبهم، ومناصبتهم العداء –عياذًا بك اللهم.

حكم سب الصحابة } على ثلاثة أقسام:

الأول: أن يسبهم بما يقتضي كفر أكثرهم، أو أن عامتهم فسقوا، فهذا كفر؛ لأنه تكذيب لله ورسوله بالثناء عليهم والترضي عنهم، بل مَن شك في كفر مثل هذا، فإن كفره متعين؛ لأن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب أو السنة كفار أو فساق.

الثاني: أن يسبهم باللعن والتقبيح، ففي كفره قولان لأهل العلم، وعلى القول بأنه لا يكفر يجب أن يجلد ويحبس حتى يموت أو يرجع عما قال.

الثالث: أن يسبهم بما لا يقدح في دينهم كالجبن والبخل، فلا يكفر، ولكن يعذر بما يردعه عن ذلك.

ذَكَر معنى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– في كتابه (الصارم المسلول) ونقل عن أحمد قوله: لا يجوز لأحد أن يذكر شيئًا من مساوئهم، ولا يطعن على أحد منهم بعيب أو نقص، فمن فعل ذلك أدب، فإن تاب وإلا جلد في الحبس حتى يموت أو يرجع.

ومن السنة الترضي عن أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين المطهرات المبرئات من كل سوء، وأفضلهم خديجة بنت خويلد رضي الله عنه وعائشة الصديقة بنت الصديق التي برأها الله في كتابه، زوج النبي ﷺ في الدنيا والآخرة، فمن قذفها بما برأها الله منه فقد كفر بالله العظيم.

العنصر الثالث: حقوق زوجات النبي –عليه الصلاة والسلام–وأسمائهن، وأفضلهن

حقوق زوجات النبي ﷺ:

زوجات النبي ﷺ زوجاتُه في الدنيا والآخرة، وأمهات المؤمنين، ولهن من الحرمة والتعظيم ما يليق بهن كزوجات لخاتم النبيين، فهن من آل بيته طاهرات مطهرات طيبات مطيبات بريئات مبرئات من كل سوء يقدح في أعراضهن،

وفر شهن، فالطيبات للطيبين، والطيبون للطيبات، فر ضي الله عنهن وأر ضاهن أجمعين، و صلى الله و سلم على نبيه الصادق الأمين.

زوجاته ﷺ اللاتي كان فراقهن بالوفاة:

الأولى: خديجة بنت خويلد أم أولاده، ما عدا إبراهيم، تزوجها رســـول الله ﷺ بعد زوجين؛ الأول: عتيق بن عابد، والثاني: أبو هالة التميمي، و لم يتزوج ﷺ عليها حتى ماتت سنة عشرة من البعثة قبل المعراج رضي الله عنها.

الثانية: عائشة بنت أبي بكر الصديق ر ضي الله عنهما أُريها ﷺ في المنام مرتين أو ثلاثًا، وقيل: هذه امرأتك، فعقد عليها ولها ست سنين في مكة، ودخل عليها في المدينة ولها تسع سنين، توفيت سنة ثمانية وخمسين من الهجرة.

الثالثة: سودة بنت زمعة العامرية، تزوجها بعد زوج مسلم هو السكران بن عمرو أخو صهيل بن عمرو، توفيت آخر خلافة عمر، وقيل: سنة 54 من الهجرة.

الرابعة: حفصـــة بنت عمر بن الخطاب، تزوجها ﷺ بعد زوج مســـلم هو خنيث بن حذافة الذي قُتل في أحد، وماتت سنة 41 من الهجرة رضي الله عنها.

خامسة: زينب بنت خزيمة الهلالية، أم المساكين، تزوجها بعد استشهاد زوجها عبد الله بن جحش في أحد، وماتت سنة أربع من الهجرة بعد زواجها بيسير رضي الله عنها.

السادسة: أم سلمة، هند بنت أبي أمية المخزومية، تزوجها بعد موت زوجها أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد، من جراحة أصابته في أحد، وماتت سنة 61 من الهجرة رضي الله عنها.

الـ سابعة: زينب بنت جحش الأ سدية، بنت عمته ﷺ تزوجها بعد مولاه زيد بن حارثة سنة خمس من الهجرة، وماتت سنة عشرين من الهجرة رضي الله عنها.

الثامنة: جويرية بنت الحارث الخزاعية، تزوجها بعد زوجها م سافع بن صفوان، وقيل: مالك بن صفوان سنة ست من الهجرة، وماتت سنة ست وخمسين من الهجرة رضي الله عنها.

التاسعة: أم حبيبة، رملة بنت أبي سفيان تزوجها بعد زوج أسلم ثم تنصر هو عبيد الله بن جحش، وماتت في المدينة في خلافة أخيها سنة أربع وأربعين من الهجرة رضي الله عنها.

العاشرة: صفية بنت حيي بن أخطب من بني النضير، من ذرية هارون بن عمران ﷺ أعتقها، وجعل عتقها صداقها بعد زوجين؛ أولهما: سلام بن مشكم، والثاني: كِنانة بن أبي الحقيق بعد فتح خيبر سنة ست من الهجرة، وماتت سنة خمسين من الهجرة رضي الله عنها.

الحادية عشر: ميمونة بنت الحارث الهلالية، تزوجها سنة سبع من الهجرة في عمرة القضاء بعد زوجين؛ الأول: ابن عبد يا ليل، والثاني: أبو رهب بن عبد العزى، بنَى بها في سرف، وماتت فيه سنة واحد وخمسين من الهجرة.

فهذه زوجات النبي ﷺ اللاتي كان فراقهن بالوفاة: اثنتان توفيتَا قبله وهما خديجة وزينب بنت خزيمة، وتسع توفي عنهن وهن البواقي، وبقي اثنتان لم يدخل بهما، ولا يثبت لهما من الأحكام والفضيلة ما يثبت للسابقات وهما:

1. أسماء بنت النعمان الكِندية: تزوجها النبي ﷺ ثم فارقها، واختلف في سبب الفراق، فقال ابن إسحاق: إنه وجد في كشحها بياضًا، ففارقها، فتزوجها بعده المهاجر بن أبي أمية.
2. أميمة بنت النعمان بن شرحبيل الجونية: وهي التي قالت: "أعوذ بالله منكَ" ففارقها. والله أعلم.

وأفضل زوجات النبي ﷺ خديجة وعائشة رضي الله عنهما ولكل منهما مزية عن الأخرى، فلخديجة في أول الإسلام ما ليس لعائشة من السبق والمؤازرة والنصرة، ولعائشة في آخر الأمر ما ليس لخديجة من نشر العلم، ونفع الأمة، وقد برأها الله مما رماها به أهل النفاق من الإفك في سورة النور.

قذف أمهات المؤمنين:

قذف عائشة مما برأها الله منه كفرٌ؛ لأنه تكذيب للقرآن، وفي قذف غيرها من أمهات المؤمنين قولان لأهل العلم؛ أصحهما أنه كفر؛ لأنه قَدْح في النبي ﷺ فإن الخبيثات للخبيثين.

فقاتل الله الرافضةَ، وهم يتهمون أم المؤمنين بما لم يقوله ابن سلول رئيس المنافقين.

هذا، ومعاوية خال المؤمنين، وكاتبُ وحي الله لرسول الله ﷺ أحد خلفاء المسلمين رضي الله عنهم فمعاوية بن أبي سفيان هو أمير المؤمنين. معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب، ولد قبل البعثة بخمس سنين، وأسلم عام الفتح، وقيل: أسلم بعد الحديبية، وكتم إسلامه.

ولاه عمر الشام، واستمر عليه، وتسمى بالخلافة بعد الحكمين عام سبع وثلاثين من الهجرة، واجتمع الناس عليه بعد تنازل الحسن بن علي سنة 41 من الهجرة.

كان يكتب للنبي ﷺ فهو من جملة كتاب الوحي، توفي في رجب سنة ستين من الهجرة عن ثماني و سبعين سنة، وإنما ذكره المؤلف، وأثنى عليه؛ للرد على الروافض الذين يسبونه ويقدحونه وسماه خال المؤمنين؛ لأنه أخو أم حبيبة إحدى أمهات المؤمنين، وقد ذكره شيخ الإ سلام ابن تيمية في (منهاج ال سنة) ردًّا على نزاع بين العلماء هل يقال لأخوة أمهات المؤمنين: أخوال المؤمنين أم لا؟

ومن ال سنة ال سمع والطاعة لأئمة ال سلمين، وأمراء المؤمنين برهم وفاجرهم ما لم يأمر بمع صية الله، فإنه لا طاعة لأحد في معصية الله، ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس، ور ضوا به أو غلبهم بسيفه حتى صار الخليفة، و سُمي أمير المؤمنين، وجبت طاعته، وحرمت مخالفته، والخروج عليه وشق عصا المسلمين.

كما أن من السنة هجران أهل البدع، ومباينتهم وترك الجدال والخصومات في الدين، وترك النظر في كتب المبتدعة والإ صغاء إلى كلامهم، وكل متسم بغير الإ سلام والسنة مبتدع؛ كالرافضة والجهمية والخوارج والقدرية والمرجئة والمعتزلة والكرامية والكلابية ونظرائهم، فهذه فرق الضلال وطوائف البدع -أعاذنا الله منها.

وعلى الجملة: فحبُّ أ صحابِ ر سول الله ﷺ دين وإيمان، وبغ ضهم نفاق وطغيان، ونحن نبرأ إلى الله عزوجل من مناهج الراف ضة ومنهج النا صبة الذين آذوا ر سول الله ﷺ في أهل بيته، وآذوا ال صحابة، وتبرءوا منهم، ولعنوهم، وفرَّقوا الكلمة، وطعنوا في الأمة، بل طعنوا في حملة هذا الدين، سيما أفضل ال صحابة ر ضي الله عنهم خا صة الخلفاء الراشدين.

نحن أهل السنة والجماعة نثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ أولًا لأبي بكر الصديق رضي الله عنه تفضيلًا له وتقديمًا على جميع الأمة، ثم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم لعثمان رضي الله عنه ثم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وهم الخلفاء الراشدون، والأئمة المهديون.

العنصر الرابع: الخلفاء الراشدون، وبيان فضلهم

أولًا: خلافة أبو بكر:

كما قال الطحاوي -رحمه الله-: "ونثبت الخلافة بعد ر سول الله ﷺ أولًا لأبي بكر ال صديق ر ضي الله عنه تفضيلًا له، وتقديمًا على جميع الأمة".

واختلف أهل السنة في خلافة الصديق رضي الله عنه هل كانت بالنص أو بالاختيار؟ فذهب الحسن البصري وجماعة من أهل الحديث إلى أنها ثبتت بالنص الخفي والإشـــارة، ومنهم من قال بالنص الجلي، وذهب جماعة من أهل الحديث والمعتزلة والأشعرية إلى أنها ثبتت بالاختيار.

الأدلة على ثبوتها بالنص: ما أسنده البخاري عن جبير بن مطعم قال: ((أتت امرأة النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه، قالت: أرأيت إن جئتُ فلم أجدك كأنها تريد الموت، قال: فإن لم تجديني فأتِ أبا بكر)) رضي الله عنه.

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنه وعن أبيها- قالت: ((دخل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا في اليوم الذي بُدئ فيه، فقال: ادعِ لي أباك وأخاكِ حتى أكتب لأبي بكر كتابًا، ثم قال: يأبَى الله والمسلمون إلا أبا بكر)) وفي رواية: ((فلا يطمع في هذا الأمر طامع)) وفي (السنن) عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: ((اقتدوا باللذين من بعدي أبا بكر وعمر)).

وأحاديث تقديمه في الصلاة وهي مشهورة ومعروفة، وأن عمر لما قال في خطبته التي خطبها بمحضر من المهاجرين والأنصار: "أنت خيرنا وأحبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم". لم ينكر ذلك أحد منهم، ولم يقل أحد من الصحابة قط أن النبي ﷺ نص على غير أبي بكر لا علي ولا العباس ولا غيرهما، ومن نقل عنه أنه طلب تولية غير أبي بكر لم يذكر حجة دينية شرعية، وإنما نشأ من حب قبيلته وقومه فقط.

وأما دليل القائلين بثوبتها بالاختيار واحتج من قال: لم يســـتخلف بالخبر المأثور عن عبد الله بن عمر عن عمر رضي الله عنهما أنه قال: "إن أستخلف فقد استخلف مَن هو خير مني - يعني: أبا بكر- وإن أترك فقد ترك مَن هو خير مني -يعني: رسول الله ﷺ قال عبد الله: فعرفت أنه حين ذكر رسول الله ﷺ غير مستخلف".

والظاهر أن المراد -والله أعلم- أنه لم يستخلف بعهد مكتوب، ولو كتب عهدًا لكتبه لأبي بكر، بل قد أراد كتابته ثم تركه، وقد يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر، فكان هذا أبلغَ من مجرد عهد، فلو كان التعيين مما يشتبه على الأمة لبينه بيانًا قاطعًا للعذر، ولكن لما دلهم عليه بدلالات متعددة حصل المقصود.

وفي فضائل الصديق رضي الله عنه وردت نصوص كثيرة في فضل أبي بكر رضي الله عنه منها قوله صلى الله عليه وســـلم وهو على منبره: ((لو كنتُ متخذًا من أهل الأرض خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، لا يبقين في المسجد خوخة إلا سددت إلَّا خوخة أبي بكر)).

وفي الصحيحين عن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته، فقلت: ((أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة، قلت: من الرجال؟ قال: أبوها، قلت: ثم أي؟ قال: عمر، وعَدَّ رجالًا)).

وفي (صحيح البخاري): عن أبي الدرداء قال: ((كنت جالسًا عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذًا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبتيه، فقال النبي ﷺ: أَمَّا صاحبكم فقد غامر، فسلم، وقال: يا رسول الله، إنه كان بيني وبين ابن الخطاب شيء، فأسرعتُ إليه، ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي فأَبَى عليَّ، فأقبلتُ عليكَ، فقال: يغفر الله لك يا أبا بكر -ثلاثًا- ثم إن عمر ندِمَ، فأتَى منزل أبي بكر، فسأل: أثم أبو بكر؟ قالوا: لا، فأتَى إلى النبي ﷺ فجعل وجه النبي ﷺ يتمعَّر حتى أشفق أبو بكر، فجَثَا على ركبتيه، فقال: يا رسول الله، والله أنا كنتُ أظلم -مرتين- فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله بعثني إليكم، فقلتم: كذبتَ وقال أبو بكر: صدَقَ، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي، فهل أنتم تاركو لي صاحبي -مرتين- فما أوذي بعدها)) رضي الله عنه.

ثانيًا: خلافة عمر:

كما قال المصنف -رحمه الله-:

ثم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أي: ونثبت الخلافة بعد أبي بكر رضي الله عنه لعمر رضي الله عنه وذلك بتفويض أبي بكر الخلافة إليه، وإجماع الأمة بعده عليه.

وأما فضائل عمر فهي أشهر من أن تنكر، وأكثر من أن تذكر، منها ما جاء في الصحيحين أنه ﷺ قال: ((قد كان في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي أحد منهم فإن عمر بن الخطاب منهم)) محدثون يعني: ملهمون.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((بينا أنا نائم رأيتني على قليب -أي: بئر- عليها دلو، فنزعت منها ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع منها ذنوبًا أو ذنوبين وفي نزعه ضعف، والله يغفر له، ثم استحالت غربًا، فأخذها ابن الخطاب فلم أرَ عبقريًّا من الناس يفري فريَه، حتى ضرب الناسَ)) .

وفي (صحيح مسلم): عن ابن عباس رضي الله عنهما أن عليًّا رضي الله عنه ترحَّم على عمر رضي الله عنه يوم قبض، وقال: "ما خلفت أحدًا أحب إليَّ أن ألقى الله بمثل عمله منك، وايم الله، إن كنتُ لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وذلك أني كنت أكثر ما أسمع رسول الله ﷺ يقول: جئت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر، فإن كنت لأرجو أو لأظن أن يجعلك الله معهما".

وفي الصحيحين قوله ﷺ لعمر: ((إيه يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكًا فجًّا إلا سلك فجًّا غير فجك)).

ثالثًا: خلافة عثمان:

كما قال المصنف -رحمه الله تعالى-:

ثم لعثمان ر ضي الله عنه أي: ونثبت الخلافة بعده لعثمان ر ضي الله عنه وهو أحد الستة الذين أو صَى عمر رضي الله عنه أن تكون الخلافة فيهم من بعده؛ لأن رسول الله ﷺ تُوفي وهو عنهم راضٍ، وهم علي، وعثمان، والزبير، وطلحة، وسعد، وعبد الرحمن.

فضائل عثمان:

من فضائل عثمان ر ضي الله عنه الخاصة كونه ختن رسول الله ﷺ على ابنتيه، وأن الملائكة تستحي منه. ففي (صحيح مسلم): عن عائشة قالت: ((كان رسول الله ﷺ مضجعًا في بيته، كاشفًا عن فخِذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر، فأذن له وهو على تلك الحالة، فتحدث، ثم استأذن عمر، فأذن له وهو كذلك، فتحدث، ثم استأذن عثمان، فجلس رسول الله ﷺ وسوَّى ثيابه، فدخل فتحدث، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويتَ ثيابك، قال: ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة؟)).

وإن النبي ﷺ بايع عنه يوم بيعة الرضوان، ففي (صحيح البخاري): ((أنه لما كان يوم بيعة الرضوان، وأن عثمان < كان قد بعثه النبي ﷺ إلى مكة، وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى: هذه يد عثمان، فضرب بها على يده، فقال: هذه لعثمان)).

رابعًا: خلافة علي:

كما قال المصنف -رحمه الله-:

ثم لعلي بن أبي طالب ر ضي الله عنه أي: ونثبت الخلافة بعد عثمان لعلي ر ضي الله عنه فقد بايعه الناس وصار إمامًا حقًّا، واجب الطاعة، وهو الخليفة في زمانه خلافة نبوة، كما دل عليه حديث سفينة أنه ﷺ قال: ((خلافة النبوة ثلاثون سنةً، ثم يؤتي الله مُلكه من يشاء)).

فالخلافة قد ثبتت له ر ضي الله عنه بمبايعة الصحابة سوى معاوية مع أهل الشام، والحق مع علي ر ضي الله عنه ذلك أنه لما قُتِلَ عثمان ر ضي الله عنه كثر الكذب والافتراء عليه، وعلى علي، وكان في عسكر علي من أولئك الطغاة الخوارج الذين قتلوا عثمان مَن لم يعرف بعينه، ومن تنتصر له قبيلته، ومن في قلبه نفاق، لم يتمكن من إظهاره كله، فرأى طلحة والزبير أنه إن لم يُنتصر للشهيد المظلوم، ويُقمع أهل الطغيان والفساد، وإلا استوجبوا غضب الله وعقابه.

فجرت فتنة الجمل على غير اختيار من علي، ولا من طلحة والزبير، وإنما أثارها المفسدون بغير اختيار السابقين. ثم جرت فتنة صِفين لرأي، وهو أن أهل الشام يخافون طغيان مَن في العسكر كما طغوا على الشهيد المظلوم، وعلي هو الإمام الذي يجب أن يجتمعوا عليه، فاعتقد أن الطاعة والجماعة الواجبتين عليهم تحصل بقتالهم، فحمله ما رآه من أن الدين إقامة الحد عليهم، ومنعهم من الإثارة دون تأليفهم على القتال، وقعَدَ عن القتال أكثر الأكابر لما سمعوا من النصوص في الأمر بالقعود في الفتنة، ولما رأوه من الفتنة التي تربوا مفسدها على مصلحتها.

ونقول في الجميع بالحسنى: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: 10].

والفتن التي كانت في أيامه رضي الله عنه صان الله عنها أيدينا، فنسأله -جل وعلا- أن يصون عنها ألسنتنا بمنه وكرمه.

قال المصنف -رحمه الله تعالى-: وهم الخلفاء الراشدون، والأئمة المهديون، فعن العِرباض بن سارية قال: ((وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول، كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ قال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة)).

العنصر الخامس: فضل أبي بكر وعمر على بقية الخلفاء وترتيبهم في الفضل، وفضل العشرة المبشرين بالجنة

فضل أبي بكر وعمر على بقية الخلفاء، وترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة:

ولأبي بكر وعمر رضي الله عنهما من المزية: أن النبي ﷺ أمرنا باتباع سنة الخلفاء الراشدين، ولم يأمرنا بالاقتداء في الأفعال إلا بأبي بكر وعمر، فقال: ((اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر)) وفَرْق بين اتباع سنتهم، والاقتداء بهم. فحال أبي بكر وعمر فوق حال عثمان وعلي رضي الله عنهما.

تقديم عثمان على علي:

قد روي عن أبي حنيفة تقديم علي على عثمان، لكن ظاهر مذهبه تقديم عثمان على علي، وعليه عامة أهل السنة. ففي الصحيحين عن ابن عمر قال: ((كنا نقول ورسول الله ﷺ حي: أفضل أمة النبي ﷺ بعده أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان)) قال: وقال أيوب السختياني: مَن لم يقدم عثمانَ على علي فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار.

وقد عُلِم هذا الفضل.

ثم فضل العشرة المبشرين بالجنة الذين سماهم رسول الله ﷺ فنشهد لهم بالجنة على ما شهد لهم رسول الله ﷺ وقوله الحق؛ وهم أبو بكر وعمر وعثمان، وعلي وطلحة، والزبير و سعد و سعيد بن زيد وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح وهو أمين هذه الأمة رضي الله عنهم.

فاتفق أهل السنة على تعظيم هؤلاء العشرة، وتقديمهم؛ لما اشتهر من فضلهم ومناقبهم، وتقدم ذكر بعض فضائل الخلفاء الأربعة، وهذا غيض من فيض في ذكر بعض فضائل بعض الستة الباقين:

سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((أرق رسول الله صلى الله عليه و سلم ذات ليلة، فقال: ليت رجلًا صالحًا من أصحابي يحرسني الليلة، قالت: وسمعنا صوت السلاح، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: مَن هذا؟ فقال: سعد بن أبي وقاص يا رسول الله، جئت لأحرسك)).

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ جمع لسعد بن أبي وقاص أبويه يوم أحد، فقال: ((ارمي فِداك أبي وأمي)).

وأما طلحة رضي الله عنه: فقد روى مسلم عن قيس بن حازم قال: رأيت يد طلحة التي وقَى بها النبي ﷺ يوم أحد قد شُلت. وروى أيضًا عن أبي عثمان النهدي قال: "لم يبق مع رسول الله ﷺ في بعض تلك الأيام التي قاتل فيها النبي ﷺ غير طلحة وسعد".

وأما الزبير: فقد قال عنه النبي ﷺ فيما روى الإمام مسلم عن جابر بن عبد الله، قال ﷺ: ((لكل نبي حواري، وحواري الزبير)) وفي الصحيحين عن الزبير أن النبي ﷺ قال: ((مَن يأتِ بني قريظة فيأتيني بخبرهم، فانطلقت، فلما رجعت جمع لي رسول الله ﷺ بين أبويه، فقال: فداك أبي وأمي)).

أما أبو عبيدة: فقد روى مسلم عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن لكل أمة أمينًا، وإن أميننا أيتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح)) وفي الصحيحين عن حذيفة بن اليمان قال: ((جاء أهل نَجران إلى النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله، ابعث إلينا رجلًا أمينًا، فقال: لأبعثن إليكم رجلًا أمينًا حق أمين، فاستشرف لها الناس، قال: فبعث أبا عبيدة بن الجراح)).

و سعيد بن زيد وعبد الرحمن بن عوف: كما روى أبو داود وابن ماجه والترمذي و صححه عن سعيد بن زيد، قال: ((أشهد على رسول الله ﷺ أني سمعته وهو يقول عشرة في الجنة: النبي في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير بن العوام في الجنة، وسعد بن مالك في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، ولو شئتُ لسميت العاشر، قال: فقالوا: مَن هو؟ فسكتَ، قال: فقالوا: من هو؟ فقال: هو سعيد بن زيد، وقال لم شهد رجل منهم مع رسول الله ﷺ يُغبر منه وجهه خيرٌ من عمل أحدكم، ولو عَمَّر عُمر نوح)).

وروى أحمد في مسنده عن عبد الرحمن بن عوف أن النبي ﷺ قال: ((أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعلي في الجنة، وعثمان في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير بن العوام في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة)).

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.

العنصر السادس: مجمل عقيدة الرافضة في الصحابة، وكيف أُحدِثَ الرفض؟

أما عقيدة الرافضة في أصحاب رسول الله ﷺ فالرافضة يتبرءون من جمهور الصحابة؛ بل يبترءون من سائر أصحاب رسول الله ﷺ إلا نفرًا قليلًا نحو بضعة عشر رجلًا على أقصى تقدير، بل يكرهون لفظ العشرة، وفِعْل كل شيء يكون عشرة، ومعلوم أنه لو فرض في العالم عشرة من أكفر الناس لم يهجر هذا الاسم لذلك، كما لم يهجر اسم التسعة مطلقًا؛ لقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [النمل: 48] بل اسم العشرة قد مدح الله مسماه في مواضع من القرآن، قال تعالى: ﴿ وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الفجر: 1، 2] وقال تعالى: ﴿ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ ﴾ [الأعراف: 142].

وقد كان ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان، ويقول في ليلة القدر: ((التمسوها في العشر الأواخر من رمضان)) قال ﷺ: ((ما مِن أيام العمل الصالح أحب فيهن إلى الله من أيام العشر)) يعني: عشر ذي الحجة.

الحقيقة أن الرافضة إذ يبغضون خيار الصحابة، ويحقدون على خيار المؤمنين و سادات أولياء الله تعالى بعد النبيين، إنهم بذلك لفي ضلال مبين.

ومثلهم الناصبة أهل الإيذاء للصحابة ولأهل بيت النبي ﷺ الخوارج ومَن على شاكلتهم، بل هؤلاء وأولئك فَضَلَهُم اليهود والنصارى بخصلة، قيل لليهود: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى، وقيل للنصارى: مَن خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب عيسى، وقيل للرافضة: مَن شر أهل ملتكم؟ أصحاب محمد ﷺ.

لم يستثنوا منهم إلا القليل، وفيمن سبوهم مَن هم خير ممن استثنوهم أضعافًا مضاعفةً، والرافضة توالي بدل هؤلاء العشرة المبشرين بالجنة اثني عشر إمامًا، أولهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويدَّعون أنه وصي النبي ﷺ دعوةً مجردةً عن الدليل، ثم الحسن ثم الحسين، ثم علي بن الحسين زين العابدين، ثم محمد بن علي الباقر، ثم جعفر بن محمد الصادق، ثم موسى بن جعفر الكاظم، ثم علي بن موسى الرضا، ثم محمد بن علي الجواد، ثم علي بن محمد الهادي، ثم الحسن بن علي العسكري، ثم محمد بن الحسن.

ويغالون في محبتهم، ويتجاوزون الحد، ولم يأتِ ذكر الأئمة الاثني عشر إلا على صفة ترد قولهم وتبطله، ففي الصحيحين عن جابر بن سمرة، قال: ((دخلت مع أبي على النبي ﷺ فسمعته يقول: لا يزال أمر الناس ماضيًا ما وليهم اثنا عشر رجلًا، ثم تكلم النبي ﷺ بكلمةٍ خفيت عليَّ، فسألت أبي: ماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: كلهم من قريش)) وفي لفظ: ((لا يزال الإسلام عزيزًا إلى اثني عشر خليفةً)) وكان الأمر كما قال ﷺ.

والاثنا عشر: الخلفاء الراشدون الأربعة، ومعاوية وابنه يزيد، وعبد الملك بن مروان وأولاده الأربعة، وبينهم عمر بن عبد العزيز، ثم أخذ الأمر في الانحلال، وعند الرافضة أن أمر الأمة لم يزل فاسدًا في أيام هؤلاء، يتوالى عليهم الظالمون والمعتدون، وأهل الحق أذل من اليهود، وقولهم ظاهر البطلان.

كيف أحدث الرفض؟

الرفض باب الزندقة، ذلك أن الذي أحدثه منافق زنديق، قَصْدُه إبطال دين الإسلام، والقدح في رسول الله ﷺ فقد أراد عبد الله بن سبأ بعد أن أظهر الإسلام، أن يفسد دين الإسلام بمكره وخبثه كما فعل بولس بدين النصرانية، فأظهر التنسك، ثم أظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى سعَى في فتنة عثمان وقَتْله، ثم لما قدم إلى الكوفة أظهر الغلو في علي، والنصر له؛ ليتمكن من أغراضه، وبلغ ذلك عليًّا، فطلب قتله، فهرَب منه إلى قرطيس.

وخبره معروف في التاريخ، وطريقة هؤلاء في إفساد الدين هي إظهارُ التشيع والتباكي على ما وقع من ظلم على آل البيت، وضرورة التبرأ ممن ظلمهم، ثم يتدرجون من سب الصحابة إلى سب أهل البيت، ثم آل الرسول ﷺ بعد أن كانوا ينسبون إليهم العجائب والخوارق. فعليهم من الله ما يستحقون.

العنصر السابع: وجوب الاتباع والاقتداء بالصحابة، والاعتراف بفضلهم، وجميلهم

ثم اعلم عبد الله أن علماء الـ سلف من الـ سابقين ومَن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر، لا يُذكرون إلا بالجميل، ومَن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل، فيجب على كل مسلم بعد موالاة الله ورسوله موالاة المؤمنين خـ صو ًصا الذين هم ورثة الأنبياء الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم، يهتدَى بهم في ظلمات البر والبحر، فلهم الفضل علينا بالسبق، وتبليغ ما أرسل به النبي ﷺ إلينا، فعليهم الرضوان.

وقد أجمع المســـلمون على هدايتهم، ودرايتهم، وعلماء الأمة خيارها، لقد كانت كل أمة قبل مبعث محمد ﷺ علماؤها شرارها، إلا الـ سلمين، فإن علماءهم خيارهم، فإنهم خلفاء الر سول صلى الله عليه و سلم من أمته والمحيون لما مات من سنته، بهم قام الكتاب، وبه قاموا متفقون اتفاقًا يقينًا على وجوب اتباعه ﷺ.

ولكن إذا وجد لأحدهم قول قد جاء حديث صـــحيح بخلافه فلا بد له في تركه من عذر. وجماع الأعذار ثلاثة أصناف: عدم اعتقاده أن النبي ﷺ قاله، وعدم اعتقاده أنه أراد تلك المسألة بذلك القول، واعتقاده أن ذلك الحكم منسوخ.

هذا، ونتبع الـ سنة والجماعة، ونجتنب الـ شذوذ والخلاف والفرقة، والـ سنة هي طريقة الر سول ﷺ والجماعة هم المسلمون، وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين، فاتباعهم هدى، وخلافهم ضلال.

نعم، نتبع السنة والجماعة، فهذا هو السبيل، وقد قال ربنا ﷻ: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء: 115] وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام: 153] وقال ﷺ: ((عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي)) الحديث.

وقال ابن مـ سعود ر ضي الله عنه: "مَن كان مـ ستنًّا فيلـ ستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضلَ هذه الأمة؛ أبرها قلوبًا، وأدقها عِلمًا، وأقلها تكلفًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فـ ضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمـ سكوا بما ا ستطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم".

ونتجنب الشذوذ والخلاف والفرقة، ولا نخالف جماعة المسلمين، ونرى الجماعة حقًّا وصوابًا، والفرقةَ زيغًا وضلالًا.

والحمد لله رب العالمين.